

العدد: ٣٨٠ - أيار ٢٠٢٣

الوحدة

AL-WAHDAH

www.itfjournals.com

الحج و معالم الحضارة
الاسلامية المعاصرة

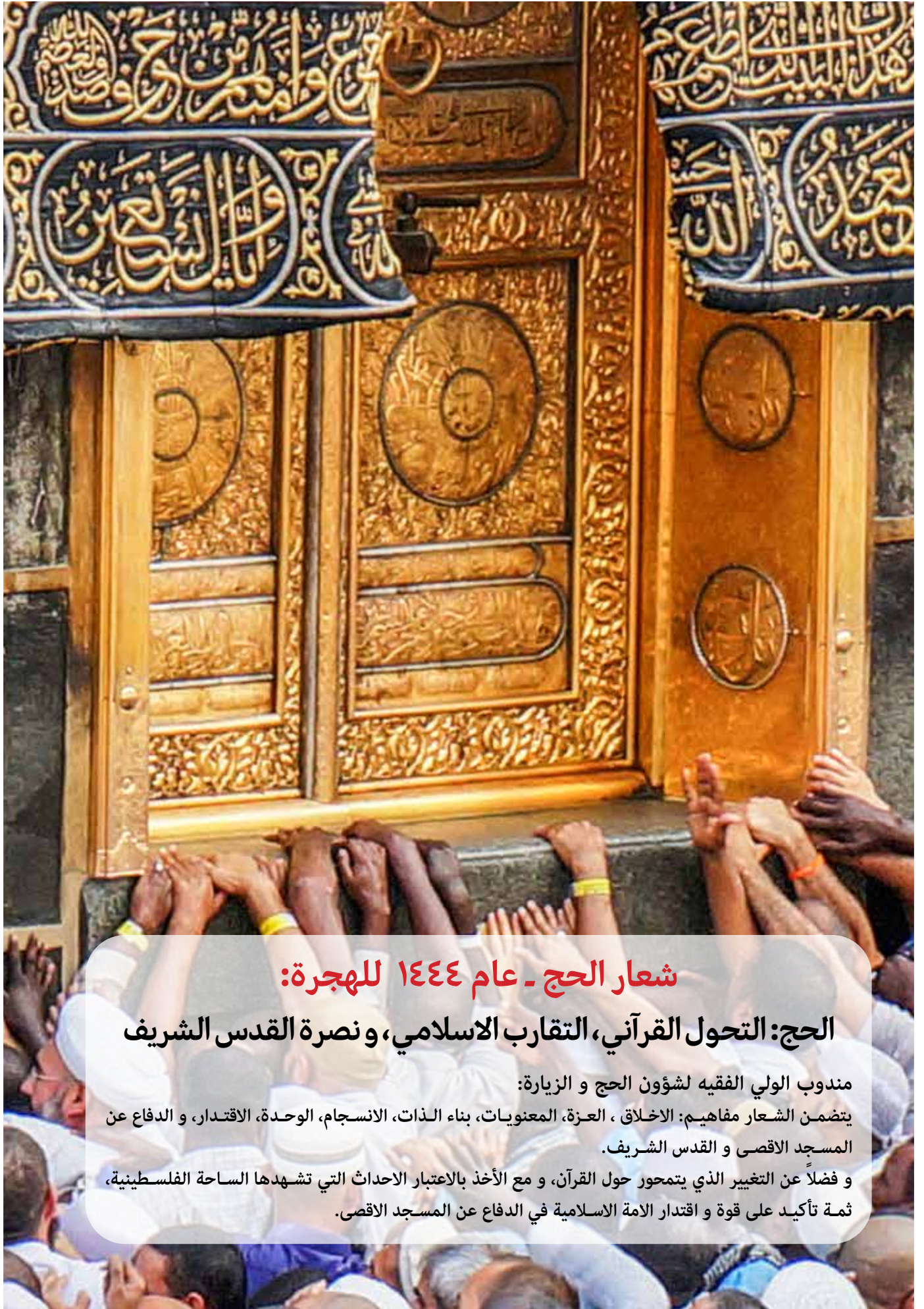
مناسك الحج الابراهيمي والارتقاء
بدور المسلمين على الصعيد العالمي

الحج ودوره في التجسيد الواقعي
للتقريب بين المذاهب الاسلامية

أثر الحج في تقدم المجتمعات الإسلامية وتطورها الأخلاقي والإنساني



YTL 5.50..... تركيا	CAD 3.00..... كندا	QR 20.00..... قطر	AED25.00..... الامارات العربية	LL6000 لبنان
USD 3.00..... امريكا	D 4 50..... العراق	RO 20.00..... رومانيا	SAR 20.00..... المملكة العربية السعودية	SYP200.00..... سوريا
MYR 4-000..... ماليزيا	DT 4-000..... تونس	S1.22..... السلطنة	S1.22..... السودان	KD 2-000..... الكويت



شعار الحج - عام ١٤٤٤ للهجرة:

الحج: التحول القرآني، التقارب الاسلامي، ونصرة القدس الشريف

مندوب الولي الفقيه لشؤون الحج و الزيارة:

يتضمن الشعار مفاهيم: الاخلاق ، العزة، المعنويات، بناء الذات، الانسجام، الوحدة، الاقتدار، و الدفاع عن المسجد الاقصى و القدس الشريف.

و فضلاً عن التغيير الذي يتمحور حول القرآن، و مع الأخذ بالاعتبار الاحداث التي تشهدها الساحة الفلسطينية، ثمة تأكيد على قوة و اقتدار الامة الاسلامية في الدفاع عن المسجد الاقصى.



الوحدة

AL-WAHDAH

العدد: ٣٨٠ - أيار ٢٠٢٣



المدير المسؤول:

محمد أسدي موحّد

Assadi101@yahoo.com

رئيس التحرير:

حسين سرور

حسين حجي

هيئة التحرير:

علي حسين، منير مسعودي

المدير التنفيذي: مريم حمزه لو

المدير الفني: أميد بهزادي

ملاحظة:

ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي المؤسسة

الهاتف:

٠٠٩٨٢١٨٨٩٣٤٣٠٢

٠٠٩٨٢١٨٨٩٣٤٣٠٣

الفاكس:

٠٠٩٨٨٨٩٠٢٧٢٥

web site: www.alhoda.ir

www.itfjournals.com

www.alwahdah.itfjournals.com

بمشاركة ودعم بعثة الحج الإيرانية

معاونية الشؤون الدولية

دائرة العلاقات الخارجية



٤

الحج و معالم الحضارة الإسلامية المعاصرة | محمد أسدي موحّد

٦

الحجّ في كلام الإمام الخميني قدس سره

٨

الحج قضية عالمية وحضارية تهدف إلى ارتقاء الأمة الإسلامية واتحادها مقابل الكفر والاستكبار

١٠

مناسك الحج الإبراهيمي والارتقاء بدور المسلمين على الصعيد العالمي | حجة الاسلام سيد عبدالفتاح نواب

١٢

الحج الإبراهيمي مؤتمر عالمي لتمرير الإنسان على محورية الاخلاق والتسامح | الدكتور محمد مهدي إيماني بور

١٤

الجمهورية الإسلامية ومفهوم السيادة الشعبية الدينية | الدكتور منصور ميراحمدي

١٦

البعد العرفاني والتربوي والعبادي للحج

٢٠

الحج ودوره في التجسيد الواقعي للتقريب بين المذاهب الإسلامية | الدكتور محمد هادي فلاح زاده

٢٣

الحج في مواجهة أخطار الإنعزال الاجتماعي | زهير الأعرجي

٢٦

الحج في نهج البلاغة | الشيخ فارس حسون

٢٨

الحج الإبراهيمي ودوره في الحضارة الإسلامية الحديثة

٣١

التعليم والتعلم في الحج الإبراهيمي | مجتبی حيدري

٣٤

دور الحج في الوحدة الإسلامية

٣٦

فلسفة الحج بين العبودية والتسليم | داود الحسيني

٣٨

الثقافة والتبادل الثقافي في الحج | حافظ نجفي

٤٢

معالم الحج و آفاته في القرآن و مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) | السيد منذر الحكيم





الحج ومعالم الحضارة الإسلامية المعاصرة

■ بقلم: محمد اسدي موحد

بسم الله الرحمن الرحيم

هام ومصيري في حياة الفرد والمجتمع الاسلامي، نظراً لآثاره وانعكاساته. ذلك ان الحج عبارة عن عهد الهي خاص بالنسبة للعباد، و مدعاة لتبلور حقائق الاسلام و تعاليمه. واذا ما اردنا بيان هدف الحج في كلمة واحدة، فلا بد من القول ان الهدف من الحج هو القرب من الحق تعالى، واكتساب الصبغة الربانية، والمضي في الحياة وفقاً لإرادة الله تعالى، و نيل سعادة الدنيا و نعيم الآخرة كما تقول الرواية.

وبتفصيل اكثر، ان ثمرة الحج على الصعيد الفردي تتجلى في العفو، والتقوى، والتحول الروحي والاخلاقي. ذلك ان الانسان عندما يتوجه الى ديار الوحي بوحي و معرفة، و يتجنب بوحي من طهارة النفس، الدنس والرذيلة والتدني الخلقي، يحيا حياة جديدة مستلهمة من سيرة ابراهيم الخليل (ع)، و رسول الله (ص)، و ائمة البقيع (ع)، والصديقة الزهراء البتول (ع)؛ ناهيك عن انتقال هذا التحول الروحي والاخلاقي الى الآخرين ايضاً.

كما ان للحج ابعاد سياسية و اجتماعية و بركات كثيرة بالنسبة للامة الاسلامية، حيث يعكس تضامن المسلمين وتعاضدهم، ويلفت الى قوتهم واقتدارهم. فاذا ما استغل موسم الحج بشكل سليم، فان يوسع علماء البلدان الاسلامية ومفكرها و نخبها المتميزة، الجلوس الى بعضهم في موسم الحج ومناقشة احوال المسلمين و التحديات التي تواجه المجتمعات الاسلامية و البحث عن حلول لها. فاذا ما حدث ذلك، فليس ثمة حاجة لأن يلجأ المسلمون الى المنظمات الدولية - التي يهيمن عليها الغرب والاستكبار العالمي - و مطالبتها بالبحث عن حلول لمشكلات بلدانهم والحد من معاناتهم.

و مما يجدر ذكره هو ان القرآن الكريم عندما يقول في الآية ٢٧ من سورة الحج: «وَأَذِّنْ

ارتبط الحج بتاريخ حياة الانسان منذ قديم الزمان. وبحسب النص القرآني، الكعبة اول بيت وضع للناس. و منذ اليوم الاول لحياة الانسان، كانت الكعبة محور شعائر الموحدين وانبيااء الله بدءاً بآدم عليه السلام و انتهاء بالخاتم (صلى الله عليه و آله)، حيث كانوا يتوجهون الى هذه الديار للطواف حول الكعبة و اداء شعائر الحج ..

ومن الواضح ان الحج شكل احدي مراحل الاسلام التكاملية، وان الانسان الموحّد ونتيجة للقيام بذلك وادائه بصدق واخلاص، ينال مقام القرب الالهي.. وتتجلى اهمية الحج بإعتباره احد اركان الاسلام الخمسة حسبما أفادت الروايات. ولهذا يضطلع الحج بدور



فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»، فان الآية المباركة تتحدث عن منافع و ليست منفعة واحدة. ومعنى ذلك هو اذا ما تم اداء مناسك الحج بشكل سليم و كما ينبغي، فان ثمة منافع كثيرة سوف تنال الامة الاسلامية سواء على المستوى الفردي، والاخلاقي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والعسكري.

و نظراً لأن الحج عبادة جامعة، يترتب عليها تحول و تغيير في كافة الشؤون الاخلاقية و السلوكية و الاجتماعية بالنسبة للحجاج ؛ و مع اخذ الاعتبار ان الكعبة والحج عموماً (هدى للعالمين)، و ان شعاع الاسلام النوراني ينطلق من هناك ليعم العالم بأسره ؛ لذا نستطيع ان نعي فحوى افاضات سماحة القائد المعظم بقوله : اذا ما ادرك المسلمون الى جوار بيت الله الحرام معنى الاسلام الحقيقي و الحج الابراهيمي، فان بوسعهم البرمجة و التخطيط جيداً لإرساء اسس الحضارة الاسلامية المعاصرة، و المضي قدماً في تحقيقها.

و لا يخفى ان تعاليم القرآن السامية، بما في ذلك تقوية الايمان، و التحلي بالعلم و الخلق الاسلامي، ومقارعة الظلم، و التصدي للفساد والضياع، وإقامة الحكم الديني الشعبي، والاهتمام بالعقل الجمعي، و تعزيز التعاضد و التضامن، والاهتمام بالتعقل والعقلانية، والتقدم العلمي، والتنمية الاقتصادية، و الاحتفاظ بعلاقات دولية قوية ومستحكمة، كل ذلك يشكل معالم الحضارة الاسلامية المعاصرة. وان بوسع الحاج التعرف أكثر على القرآن والاسلام و ترسيخ مبادئه اليمانية و الاخلاقية أثناء تواجده في الحرمين الشريفين، والاعلان عن برائته من المشركين و الظالمين، و الاستلهم من شعائر الحج ومناسكه للمضي قدماً في تحقيق التقدم العلمي، والتنمية الاقتصادية، و تعزيز عزة و عظمة المسلمين، و بكلمة واحدة، المضي بخطوات واثقة و فاعلة على طريق قيام الحضارة الاسلامية المعاصرة المنشودة.



الحج في كلام الإمام الخميني قدس سره

دعا الإمام الخميني قدس سره إلى فهم أبعاد الحجّ الإبراهيمي للاستفادة منها فقال قدس سره: "إنّ على المسلمين الذين يحملون رسالة الله تعالى أن يستفيدوا من المحتوى السياسي والاجتماعي للحجّ إضافة إلى محتواه العبادي، ولا يكتفوا بالمظهر الخارجي".



الله أوجد بعض الحجاج من خلال أعمالهم خلاً في هذه الوحدة أدت إلى التفرقة، فذلك سيوجب سخط رسول الله، وعذاب القادر الجبار“.

٣- البعد السياسي

وعنه قال الإمام الراحل قدس سره: ”إن إحدى أكبر فلسفات الحج هي البعد السياسي الذي تسعى أيادي الجناة لاقتلعه“.

وفي تفصيل بيان هذا البعد قال الإمام قدس سره: هذا البيت شيد للناس لأجل نهضة الناس، نهضة الجميع، ولأجل منافع الناس، وأي نفع أعظم وأعلى من جعل أيادي جبابرة العالم، وظلمة العالم مكفوفة عن تسلطها على الدول المظلومة..

أن يتحد المسلمون في ذلك المكان دون تكلف مع الوافدين بدون حلق الرأس أفضل آلاف المرات من تزيين الكعبة ورفع بنائها العظيم، والغفلة عن الهدف الأصلي الذي هو نهوض الناس وشهود منافع الناس..

إن رجم العقبات هو رجم شياطين الإنس والجن، أنتم برجمكم تعاهدون الله على أن تطردوا شياطين الإنس والقوى العظمى من بلادكم الإسلامية، اليوم العالم الإسلامي أسير بيد أمريكا، أنتم تحملون رسالة من الله لأجل جميع المسلمين في القارات المختلفة من العالم، رسالة تؤكد إن العبودية إنما هي لله وحده، ولا يمكن أن تكون لأي شخص آخر..

إن فريضة الحج التي هي ”لبيك“ بحق وهجرة إلى الله إنما هي بركة إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى لا لجميع الأصنام والطواغيت والشياطين وأبنائهم، وأي صنم أكبر من الشيطان الأكبر أمريكا ناهية العالم.. إن إعلان البراءة من المشركين تعتبر من الأركان التوحيدية، والواجبات السياسية للحج، فحاشا أن يتحقق إخلاص الموحدين في جهنم بغير إظهار السخط على المشركين والمنافقين..

وتقولون لبيك اللهم لبيك، يعني أنت تدعونا ونحن نجيب الدعوة، معاذ الله أن تقوموا بعمل لا يرضاه الله تبارك وتعالى... هذا السفر سفر إلى الله، وليس سفرًا إلى الدنيا، فلا تلوّثوه بها“. ودعا الإمام قدس سره إلى ضرورة الإخلاص في هذه الفريضة المباركة قائلاً: ”إن أهم الأمور في جميع العبادات هو الإخلاص في العمل... ولينتهب الحجاج المحترمون وليواظبوا على عدم إشراك غير الله في أعمالهم، إن الجهات المعنوية للحج كثيرة، والمهم أن يعرف الحاج إلى أين يذهب؟ ودعوة من يلبي؟ وأنه ضيف من؟ وما هي آداب هذه الضيافة... ولتعلم أن الغرور والنظرة الذاتية لا يجتمعان مع حب الله وطلبه، ويتناقضان مع الهجرة إلى الله، وبالتالي تكونان سبباً لنقص معنويات الحج، وإذا ما تحققت هذه الجهة المعنوية والعرفانية للإنسان، وإذا ما تحققت لبيك صادقة، مقرونة ببناء الحق تعالى، حينها ينتظر الإنسان في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، وحتى العسكرية، ومثل هذا الإنسان لن يعرف الهزيمة“.

وذكر الإمام الخميني قدس سره إن هذا البعد المعنوي للحج يتوقف على أدائه صحيحاً على طبق الشريعة المقدسة فقال: ”إن المراتب المعنوية للحج هي رأسمال الحياة الخالدة وتقرب الإنسان من أفق التوحيد والتنزيه، وسوف لن نحصل على النتيجة ما لم ننفذ أحكام وقوانين الحج العبادية بشكل صحيح ولائق وشعرة بشعرة“.

٢- البعد الاجتماعي

وتحدّث الإمام الراحل قدس سره عن البعد الاجتماعي للحج قائلاً: ”إن إحدى الفلسفات الاجتماعية لهذا التجمع العظيم من جميع أنحاء العالم توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبي الإسلام، أتباع القرآن الكريم في مقابل طواغيت العالم، وإذا لا سمح



١- البعد المعنوي

وركّز الإمام قدس سره في توجيهاته على البعد المعنوي قائلاً: ”إن البعد السياسي والاجتماعي للحج لا يتحقق إلّا بعد أن يتحقق البعد المعنوي“. وفي هذا ألفت الإمام إلى ضرورة التنبيه إلى أن الحج هو سفر إلى الله تعالى ووفادة إليه. فقال قدس سره: ”إن سفركم الذي يبدأ من حين التهيؤ هو وفادة إلى الله، سفر إلى الله... في الميقات الذي تذهبون إليه تلبون فيه نداء الله،



الإمام الخامنئي في لقاء مع القيمين على شؤون الحج الحج قضية عالمية وحضارية تهدف إلى ارتقاء الأمة الإسلامية واتحادها مقابل الكفر والاستكبار

التقى القيّمون على شؤون الحج في جمهورية إيران الإسلامية، صباح اليوم الأربعاء ٢٠٢٣/٥/١٧، بالإمام الخامنئي في حسينيّة الإمام الخميني (قده). وتحدّث قائد الثورة الإسلاميّة خلال اللقاء عن كون الحج قضية عالمية وحضارية تهدف إلى ارتقاء الأمة الإسلاميّة واتحادها مقابل الكفر والاستكبار، ولفت إلى أن الإسلام يرفض في الحج التمايزات العرقية والجغرافيّة في العالم على عكس ما يجري في الدول الغربيّة التي تدّعي الحضارة.





آحاد الناس والمسؤولين أن يأخذوا المعرفة بأهداف العدو وأساليبه وسياساته ونقاط قوته وضعفه على محمل الجد تماماً، وإذا حدث ذلك، فلن تُخدع البلاد، وقد جرى طبعاً خداعها في بعض الحالات».

الإمام الخامنئي شرح في هذا الصدد: «إذا كنا ملتفتين إلى القضايا العالمية، نستطيع أن ندرك الهدف الحقيقي للعدو وسبب إصراره على بعض القضايا. فكما الحال في كثير من القضايا، كان المسؤولون متبهمين وتصرفوا بأسلوب صحيح، وكان هذا التقدم الجيد للغاية لإيران في القضايا الإقليمية والعالمية، الأمر الذي أغضب أمريكا نتيجة هذه النباهة».

في الوقت نفسه، رأى سماحته التجلّي العملي لرفض الإسلام التمايزات الجغرافية والعرقية والطبقية وغيرها من بين النقاط الأساسية لفريضة الحج. وقال: «لا تزال الدول التي تدعي التحضّر، والتي لم تلتفحها رائحة الحضارة حقاً، عالقة في قضايا العرق الأسمر والأبيض، والعرق الأوروبي وغير الأوروبي، وتكّن لحيواناتها الأليفة قيمة أكبر بمراتب لما تكّن لبعض البشر، فغرق المهاجرين المتواصل في البحر هو دلالة على هذه الحقيقة».

في جزء آخر من حديثه، عدّ قائد الثورة الإسلامية انسجام جميع الحجاج وتساوهم بغض النظر من أي عرق وتاريخ وثقافة هم ضمن أسرار الحج. وفوق ذلك، قال إن انتصار الثورة الإسلامية أدى إلى معرفة وإحياء نسيب لقابليات الحج. واستدرك: «لا بد من السعي إلى إحياء كل هذه القابليات وتوظيفها في مسار تحقيق أهداف الحج الرئيسية».

في بداية هذا اللقاء، شرح ممثل الولي الفقيه في أمور الحج والزيارة، حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد الفتاح نواب، أبعاد شعار الحجاج الإيرانيين للحج هذا العام الذي يحمل عنوان: «الحج: تحوّل قرآني وتقارب إسلامي ودعم القدس الشريف».

قال الإمام الخامنئي إن النظرة الصحيحة إلى الحج وفهم أهمية هذه الفريضة أمران في غاية الأهمية، مضيفاً: «الحج قضية عالمية وحضارية هدفها ارتقاء الأمة الإسلامية وتقريب قلوب المسلمين وتوحيد الأمة الإسلامية أمام الكفر والظلم والاستكبار والأصنام البشرية وغير البشرية».

وأكد الإمام الخامنئي حضور الحجاج الإيرانيين في صلوات الجماعة في المسجد الحرام ومسجد النبي (ص)، والتواصل والتحدث مع الحجاج الآخرين. وقال: «قراءة دعاء كميل جماعة أمر حسن للغاية، وينبغي أن تستمر الحركة العظيمة للبراءة من المشركين أيضاً، فهي من القابليات الواسعة والعميقة للحج». واستند سماحته إلى آيات قرآنية ليقول إن الكعبة مصدر قيام المجتمعات البشرية وقوامها. وبالإشارة إلى الفوائد الدنيوية والأخروية لهذه الفريضة العظيمة، قال: «إذا لم يكن الحج فسوف تتلاشى الأمة الإسلامية». كما عدّ الحج ميقاتاً دولياً وميعاداً عالمياً، قائلاً: «دعوة آحاد البشر في التاريخ كله للحضور في مكان معين وفي أيام معينة أيضاً تُبَيّن الأهداف المهمة والفوائد الكثيرة في هذه الدعوة الإلهية».

ورأى قائد الثورة الإسلامية أن وحدة الأمة الإسلامية ومواجهة الشياطين المستكبرين من جملة هذه الأهداف. وتابع: «من جملة الفوائد الدنيوية المتعددة للحج أن يعلن المسلمون في هذا الاجتماع العظيم الحضور والقوة أمام الكيان الصهيوني ونفوذ القوى الاستكبارية، وأن يتأهبوا بصدورهم مقابل الظالمين في العالم».

وعدّ سماحته النظرة العالمية والعابرة للحدود إلى الحج قضية أساسية. وقال: «أيام الحج فرصة مغتمة للتعرف إلى الشعوب والقضايا العالمية حتى لا تُبعد الأخبار الكاذبة لوسائل الإعلام ووكالات الأنباء الكاذبة عن حقائق العالم وتُضلّهم». كذلك، رأى أن الجهل بالعالم يؤدي إلى هلاك أي مجتمع. وأضاف: «كما قيل مرات كثيرة، يجب على



مناسك الحج الابراهيمى والارتقاء بدور المسلمين على الصعيد العالمى



■ حجة الاسلام سيد عبدالفتاح نواب

الابراهيمى الى جانب العبادات الاخرى، والتحلي بالنور الرباني والمعنويات والاجر الآخروي، ونيل منافع وفوائد دنيوية كثيرة: ” وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ” (الحج/ ٢٧-٢٨). و من منافع الحج التي تحظى بأهمية حياتية بالنسبة للمسلمين، البعد السياسي للحج. وبالنسبة للنظام الدولي، يشكل المسلمون اليوم - باعتبارهم احد التجمعات الانسانية الكبرى - عشرات البلدان يزيد عدد سكانها على

تعد مناسك الحج احد اكبر العبادات على الصعيد العالمى. وفي هذه العبادة العظيمة يلتقي المسلمون من شتى بقاع العالم لاداء شعائر واعمال خاصة. ويتم اداء ذلك بناء على اوامر الله تعالى التي نصت: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (الحج/ ٩٧). حيث يجتمع المسلمون من مختلف البلدان في ارض الوحي، والقيام باداء مناسك الحج





المليار والنصف مليار نسمة. ومن الطبيعي ان المسلمين بهذا التعداد العظيم والاستحواذ على موارد وثروات طبيعية ضخمة، الى جانب تمتعهم بتعاليم الاسلام العظيم التي تبعث على الحياة، من الطبيعي ان يتطلعوا الى الاستحواذ على مكانة تليق بهم، والاضطلاع بدور يتناسب مع واقعهم في عالم اليوم. ولا يخفى ان الارتقاء بمكانة المسلمين ومنزلتهم في عالم اليوم أمر في غاية الاهمية، ويستوجب الاستفادة من محاور القوة المتعددة التي يتمتعون بها. والحج هو احد هذه المحاور. إذ باستطاعة مناسك الحج توفير مستلزمات الارتقاء بمنزلة المسلمين عالمياً من خلال طرق متعددة نحاول فيما يلي الإشارة الى أبرزها:

الحج وتقوية التضامن الاجتماعي

التضامن والانسجام الاجتماعي عبارة عن الشعور بتوحد افراد المجتمع، والتحلي بعلاقات اجتماعية ودية وحميمية، وتعاطي جماعي على اساس المبادئ والقيم المشتركة والمنسجمة. ولا يخفى ان قوام كل مجتمع وتحركه في مسار متسامي مدين لعوامل متعددة. والامة الاسلامية، ونظراً لتعدد القوميات، والاعراق، والجغرافيا، والثقافات، والعادات والتقاليد، فمن الطبيعي ان تكون عرضة للانشقاق والانقسام. ولا شك ان تنامي الاختلافات يطعن بمنزلة الامة الاسلامية ويلززل عظمتها. وفي هذا الصدد بوسع مناسك الحج الاضطلاع بدور هام ومؤثر في تعزيز انسجام المجتمع الاسلامي وترسيخ وجوده. المناسك الدينية ترقى بالاجتماع بمثابة بؤرة للاتحاد، وبوسعها تعميم الاجواء واتساع دائرتها لتشمل تجمعات اخرى، وبالتالي استبدالها بمحيط اكثر اتساعاً واكبر قوة. ومن هذا المنطلق يستطيع الحج - بوحى من ارساء العهود والالزامات الاخلاقية - خلق الشعور بالتجانس والثقة، وجبران التباعد الطبيعي والمصطنع والمفروض على حد سواء. وفي كلمة للامام علي (ع)، وضمن الإشارة الى فلسفة بعض التعاليم الاسلامية، يقول عن الحج: «فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى... وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ». وهذا يعني ان الحج مدعاة لتقوية الدين. ذلك انه في اجتماع

الحج تستحكم العلاقات بين المسلمين ويزداد الايمان قوة ورسوخاً، وبذلك يكون الاسلام اكثر قوة واسنحكاماً. فالدافع الرئيسي من تشريع الحج هو ان يجتمع المسلمون تحت لواء الكعبة المشرفة، كأمة واحدة وذات عزم وقوة موحدة. من الممكن ان لا يكون المشاركون في مراسم الحج منسجمين في الفكر والأذواق، وربما لديهم تصورات متباينة ازاء بعض الامور ايضاً، غير انهم في التوجه الى الله تعالى والحركة في مسار العبودية الالهية، فانهم يتحركون في مسار واحد ويمضون نحو هدف واحد .. الحج يتشكل من (الأنا) الدينية والثقافية والمذهبية، وهو بمثابة اجتماع يتمحور حول هدف واحد. كل الأنشآت والذوات تتبدل في ظل هذا الهدف - اي العبادة والتقرب الى الحق تعالى - تتبدل الى (نحن)، بل الى (أنا) جامعة متعالية تخلو من اي تنازع على الرغم من وجود التعدد والتنوع. ومن هنا يمكن القول ان الحج يمثل منعطفًا للوحدة بين المسلمين في مختلف بقاع الارض، ويمهد الارضية للسلم والتعايش السلمي، ويعد عاملاً في التضامن والتكاتف والاتحاد. و ما ينبغي الإشارة اليه هنا هو أنه، على الرغم من الدور الذي يضطلع به الحج في تعزيز التضامن الاجتماعي، غير ان قدرته على تحقيق الانسجام داخل المجتمع الاسلامي اكبر بكثير مما هو قائم اليوم. ذلك ان الحج قادر على توحيد المجتمع الاسلامي والمضي به على طريق تحقق الاهداف الاسلامية الكبرى، وتوحيد صفوفه في التصدي لاعداء الاسلام ودرهمهم.

الحج وارساء هوية العقل الجمعي

الهوية في المفهوم الاجتماعي عبارة عن مجموعة الخصائص والمشخصات البارزة الاجتماعية، والثقافية، والنفسية، والبيئية، والتاريخية، التي تصدق بنحو واحد على اعضاء جماعة ما، وتدل على توحدهم او تماثلهم، وتميزهم عن الآخرين. فكما ان الاشخاص لديهم هويتهم الخاصة بهم، كذلك الفئات والجماعات الاخرى لديها الهوية الخاصة بها التي يطلق

عليها بـ (هوية العقل الجمعي). و في المجتمع الاسلامي، ثمة معتقدات وشعائر دينية مشتركة تمنح المسلمين الهوية الخاصة بهم وتميزهم عن غيرهم. ويعتبر الحج من الشعائر الدينية المشتركة. ومن الامور الخاصة بالحج التي تستحوذ على اهتمام علماء الاجتماع الديني: كيف يتسنى لـ (الحاج) الارتقاء بشخصيته وتعزيزه في ظل مناسك الحج؟. وفي هذا الصدد يرى الباحثون ان الاشخاص وعلى الرغم من تباين خصائصهم واختلاف خصوصياتهم، غير انهم يجتمعون بمشاعر واحاسيس مشتركة، ومثل هذا الاجتماع يساعد في صيانة هوية العقل الجمعي ويعمل على ترسيخها قبل أي شئ آخر. ومن الواضح ان الشعائر الدينية التي تجسد الهوية الجمعية، قادرة على حفظ الهوية واتساع دائرتها وترسيخها. وفي مراسم الحج، وبوحي من تلاقي القلوب واجتماعها، تتجلى هوية المسلمين وتبرز جلياً. ذلك ان المناسك مدعاة لتعزيز الانسجام وترسيخ التمسك القلبي بالهدف الجمعي وبالتالي تجسيد الهوية. حيث ترتقي في الحج كيفية تعامل الافراد مع بعضهم، وتتوافر اوضاع جديدة للعلاقة فيما بينهم، وتتغير هوية (الانا) ويكتسب كل من الافراد والجمع ماهية جديدة. باختصار الحج عبارة عن نموذج لتجسيد واقع المجتمع الاسلامي على الصعيد العالمي، حيث يبلور ابعاد وسمات المجتمع الاسلامي في مكان معلوم .. الحج تجلي لعظمة الاسلام وتجسيد قوة المسلمين وقدراتهم في ترجمة هويتهم ونيل عزتهم في الساحة الدولية. ذلك ان حضور المسلمين من مختلف بقاع الارض، ومشاركتهم بحشدهم المليون في اداء مناسك الحج، واجتماعهم العظيم في المسجد الحرام بمكة المكرمة، كل ذلك يعزز من ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم، ويزيدهم قوة ومنعة، وسعيًا للتشبث بتضامنهم وتعاضدهم وتجسيد اتحادهم وتوحدتهم، والعمل معاً للارتقاء بعزتهم، والاضطلاع بدورهم الرباني الموعود في خلافة الارض.



الحج الابراهيمي

مؤتمر عالمي لتمرين الانسان على محورية الاخلاق والتسامح



■ الدكتور محمد مهدي ايماني بور

النهاية على درجة القبول. ان ما يميز حج المسلمين الابراهيميين عن المناسبات والمهراسيم القومية - الدينية للشعوب والاقوام والاديان الأخرى، ويضفي عليه طابعاً خاصاً بارزاً وشمولياً على الصعيد العالمي، هو اهتمام هذه الفريضة بتربية الانسان الخلق والمسؤول ازاء نظرائه في الخلق وكافة الكائنات الحية. وفي الحقيقة، ان من السمات البارزة والملفتة حقاً في مؤتمر الحج الابراهيميين، فضلاً عن الاهتمام الخاص بمراعاة حقوق افراد المجتمع الانساني، هو الأمر الخطير المتمثل في الحفاظ على حقوق سائر المخلوقات والكائنات الحية.

وكما هو معلوم، ان المسلم القادر والمستطيع ملزم بالتوجه الى ارض الوحي في زمان ومكان محددين، ويقوم باداء اعمال وشعائر خاصة تدور حول محور مقدس للتعبير عن عشق العبودية لله تعالى، والتحلي بالرافة والتسامح ازاء كافة المخلوقات الماثلة في الوجود. كما ان كل من تسنت له المشاركة في هذه الشعائر المقدسة من قبل، ينتابه - دون مبالغة - شعور خاص مفعم بالسكون وكأنه ولد من جديد.

ما قيل في وصف ثمرات الحج الابراهيميين، إنما هو تذكير بالنسبة للمفكرين والعلماء

المبين بمثابة واجباً بالنسبة للمسلمين ممن استطاع اليه سبيلاً وكلّفوا بأدائه؛ يتمتع بأهلية خاصة وقدرات ملفتة على طريق توسيع دائرة السلم الاهلي والتسامح ونبد العنف. حيث نرى في جميع ابعاده ومراحله واعماله، تمرين جمعي للحياة الايمانية أملاً في بلوغ السلم الاهلي والاستقرار المادي والمعنوي للنوع الانساني.

ان هذا النموذج المتحضر يتجلى كل عام بمثابة مناورة وتمرين للمسلمين في العالم، حيث تعتبر مراعاة حقوق الافراد وكافة المخلوقات الحية المحيطة به، من المبادئ الاساسية وتحظى بأهمية قصوى. بحيث أن اي تصرف يصدر من الحاج يؤدي الى تضييع حق انسان أو كائن حي، يستلزم غرامة واداء دين. وفي الحقيقة ان الانسان يتعلم من هذه التجربة نمط الحياة الايمانية، بعيداً عن لون البشرة، والعنصر، والموطن، والمستوى الثقافي، والثراء والمنزلة الاجتماعية. يتعلم ضرورة ان يكون إنساناً صالحاً، خلوقاً، وملتزمًا بمبادئ التعبد (عبداً لله). وان محاولة تخطي هذه المبادئ والموازين، تستوجب العقوبة والغرامة (الفدية) التي ينبغي تسديدها طوعاً وفي وقتها المحدد، كي يتسنى له البقاء في المؤتمر والحصول في

الأمر الذي يستحوذ على الاهتمام بالنسبة لموضوع الارتباط والتواصل بين المجتمعات الانسانية، ومحاولات النوع الانساني تحقيق السلم والامن في ظل التعايش على اساس الاخلاق. وما يمنح منظمة الامم المتحدة والمؤسسات الدولية المحيطة بها قوامها، محاولة العالم المتحضر تخطي الحواجز الجغرافية، والدينية، والطبقية، ونظير ذلك وإلغائها، متذرعاً برغبة الانسانية وحرصها على الارتقاء في مدارج السلم والاستقرار وتحقيق عالم خال من العنف.

وعلى الرغم من انقضاء سنين متمادية، وفعاليات منظمات دولية متعددة، لا زال العالم - كما كان - يشهد منازعات وحروب مدمرة في مناطق عديدة. ولذلك يبدو ان البشرية بحاجة اليوم - اكثر من اي وقت آخر - الى احياء المعنويات واتساع دائرة التدين، في محاولة لارساء السلم والهدوء والاستقرار على صعيد الكرة الارضية. واذا ما تأملنا في التراث الثقافي - الاجتماعي، والعادات والتقاليد والطقوس الثقافية - الدينية والتاريخية للشعوب، يمكن القول بكل جرأة، أن مؤتمر الحج الابراهيميين العظيم، الذي يمتد تاريخه لآلاف السنين، واعتبره الدين الاسلامي



والمسؤولين الحكوميين والنخبة المؤثرة في المجتمعات الإسلامية، لاتخاذ خطوات فاعلة في تعميم هذه الشعائر على الصعيد العالمي، والتعريف بالتراث القيم لنبى الرحمة المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله)، ذلك ان العالم الاسلامي لم يبذل - للأسف - ما بوسعه للتعريف بهذا التراث الانساني العظيم ولفت الانظار الى ما يختزنه من قدرات جمّة في ارساء الامن والاستقرار، وتعميم التعايش السلمي، واطلاع الشعوب والملل والاديان الأخرى على ذلك.

باختصار موسم الحج مكان لاستعراض نمط الحياة الإسلامية، والتسليم والتوجه الى مبدأ الوجود. وان جميع المصلحين في عالم اليوم، على الأقل في القرن الاخير، يؤكّدون على الدوام على السلم والتسامح بمثابة احدى ضرورات تحقيق السعادة. وان ما نشهده ونلمسه في ابعاد واعمال هذا المؤتمر العظيم اكثر من اي أمر آخر، هو التأكيد على نبذ العبودية لغير الله تعالى، والاهتمام بحقوق كل كائن حي بما فيهم الانسان. وفي عبارة اوضح، ان ما هو ماثل في عالمنا اليوم، بعد مئات السنين من الحروب واراقة الدماء والعنف، هو التأكيد على ذلك. ولا يخفى ان الاديان الإبراهيمية سيما انبياء اولي العزم، وعلى الأخص النبي الخاتم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله)، دعا البشرية الى ذلك منذ قرون متمادية. النبي محمد الذي يرى فلسفة وجود شريعته تكمن في اكمال مكارم الاخلاق للنوع الانساني.

و بطبيعة الحال، ان ما تم التأكيد عليه بخصوص الحج بعد قيام الجمهورية الإسلامية، والذي تجلى في اقوال قادة الثورة، هو الارتقاء بالابعد (الاجتماعية) و(السياسية) لهذه المناسك، جنب الى جنب مع الابداع (عرفانية) و(المعنوية). وان تأكيد الامام الخميني على (إبراهيمية) الحج، والاهتمام بأدبيات (الحج الإبراهيمي - المحمدي)، ما هو إلا محاولة للفت الانظار الى حقيقة (الحج) والرجوع اليها. ذلك ان مقارنة أعداء الانسانية والتصدي لمن يحاول تضيق حقوق الشعوب، ومناصرة المظلومين والتضامن معهم، هي من جملة خصائص وسمات الحج الإبراهيمي. ولهذا ينبغي تحويل الحج الى مركز

جمعي للحياة الإيمانية أملاً في بلوغ السلم الاهلي والاستقرار المادي والمعنوي للنوع الانساني.

- ان ما يميز حج المسلمين الإبراهيمي عن المناسبات والماراسيم القومية - الدينية للشعوب والاقوام والاديان الأخرى، ويضفي عليه طابعاً خاصاً بارزاً وشمولياً على الصعيد العالمي، هو اهتمام هذه الفريضة بتربية الانسان الخلق والمسؤول ازاء نظرائه في الخلق وكافة الكائنات الحيّة. وفي الحقيقة، ان من السمات البارزة والملفتة حقاً في مؤتمر الحج الإبراهيمي، فضلاً عن الاهتمام الخاص بمراعاة حقوق افراد المجتمع الانساني، هو الأمر الخطير المتمثل في الحفاظ على حقوق سائر المخلوقات والكائنات الحيّة.

- باختصار موسم الحج مكان لاستعراض نمط الحياة الإسلامية، والتسليم والتوجه الى مبدأ الوجود. وان جميع المصلحين في عالم اليوم، على الأقل في القرن الاخير، يؤكّدون على الدوام على السلم والتسامح بمثابة احدى ضرورات تحقيق السعادة. وان ما نشهده ونلمسه في ابعاد واعمال هذا المؤتمر العظيم اكثر من اي أمر آخر، هو التأكيد على نبذ العبودية لغير الله تعالى، والاهتمام بحقوق كل كائن حي بما فيهم الانسان.

لصحة العالم الاسلامي وتوحيده في مواجهة الاستكبار العالمي.

و من هنا يبدو ثمة ضرورة اسلامية للتعريف - على الصعيد الدولي - بالروايات الصحيحة المتفق عليها، التي تتحدث عن فوائد ومزايا مؤتمر الحج العظيم، وان تتحمل منظمة المؤتمر الاسلامي مسؤوليتها ازاء ذلك. ومن اللازم ان يبادر الجميع من علماء ومفكرين ومسؤولين في البلدان الإسلامية، للتعريف بنموذج الحياة الإيمانية المستوحاة من مناسك الحج الإبراهيمي وتعميمه على صعيد المجتمعات الإسلامية والاجواء العالمية، وكلنا أمل في تحقيق ذلك عن قريب في العالم الاسلامي.

- اذا ما تأملنا في التراث الثقافي - الاجتماعي، والعادات والتقاليد والطقوس الثقافية - الدينية والتاريخية للشعوب، يمكن القول بكل جرأة، أن مؤتمر الحج الإبراهيمي العظيم، الذي يمتد تاريخه لآلاف السنين، واعتبره الدين الاسلامي المبين بمثابة واجباً بالنسبة للمسلمين ممن استطاع اليه سبيلاً وكلفوا بأدائه؛ يتمتع بأهمية خاصة وقدرات ملفتة على طريق توسيع دائرة السلم الاهلي والتسامح ونبذ العنف. حيث نرى في جميع ابعاده ومراحل واعماله، تمرين



الجمهورية الإسلامية ومفهوم السيادة الشعبية الدينية

العلاقة بين هذا النموذج والنماذج المنافسة الأخرى، سواء على صعيد العالم الإسلامي والنظام الدولي. تحاول المقالة التالية تسليط الضوء باختصار أولاً، على وجه العلاقة بين فكر الثورة الإسلامية في إيران ونموذج السيادة الشعبية الدينية باعتباره نموذجها الديمقراطي المفضل. ومن ثم محاولة التعرف على النماذج المنافسة للسيادة الشعبية الدينية سواء على صعيد العالم الإسلامي والنظام الدولي.

■ الدكتور منصور ميراحمدي
باحث و استاذ جامعة

لوقوف على طبيعة العلاقة بين الثورة الإسلامية في إيران ونموذج السيادة الشعبية الدينية، لابد من تبيان معالم الفكر الديني للثورة الإسلامية من جهة، وإيضاح علاقة ذلك في بلورة نموذج السيادة الشعبية الدينية بعد انتصار الثورة الإسلامية. كما ان يوسع إيضاح طبيعة هذه العلاقة، لفت الانتظار الى نوعية





الثورة الإسلامية وتجديد الخطاب الديني

الثورة الإسلامية في إيران كانت حصيلة توجّه خاص بالنسبة للخطاب الديني. ولدى مقارنة هذا التوجّه بالرؤية التقليدية إلى الدين، يمكن التعبير عن ذلك بمحاولة تجديد الخطاب الديني. وبناءً على ذلك، وعلى الرغم من أهمية الرجوع إلى النصوص الدينية لفهم الدين واعتباره ضرورياً، غير أنه في ضوء هكذا مراجعة، ومن خلال تحكيم العقل، من الممكن استنباط توجهات عقلانية من التعاليم الدينية تتناسب مع متطلبات الحقبة الزمنية ومتطلبات العصر. توجهات وتصورات تفضي إلى مطابقة العالم المتغير مع الشريعة الثابتة. وفي ظل هكذا التوجّه، يعاد النظر في التقاليد الدينية بما يواكب العالم الجديد، ويتواءم مع ميدان الحياة الفردية والاجتماعية ويتناغم مع القوانين الدينية العصرية. ولهذا يمكن النظر إلى التوجّه الجديد لفهم الدين والاحاطة بتعاليمه باعتباره التوجّه الأوسع انتشاراً والأكثر حضوراً. وبناءً على ذلك ينظر إلى الإسلام السياسي بمثابة حصيلة هذا التوجّه وهذا الفهم.

وفي ضوء هذا التصور والفهم، يتعهد الإسلام بتبيان المفاهيم وتحديد المهام التي ينبغي اتباعها في الحياة الفردية والاجتماعية، تاركاً للمسلمين مهمة اختيار الطريقة التنفيذية المثلى بما يتناسب مع الظروف الزمانية والمكانية. حيث يعمل المسلمون على تنظيم ذلك وفقاً للظروف المتاحة، ومحاولة ترتيب الشؤون الفردية والسياسية والاجتماعية آخذين باعتبار التعاليم الدينية وتوجهاتها.

تجديد الخطاب الديني والسيادة الشعبية الدينية

تجديد الخطاب الديني بمثابة دعامة نظرية للثورة الإسلامية في إيران، اوجد تحولات اساسية متعددة في حياة الإيرانيين في المرحلة التي اعقبت انتصار الثورة الإسلامية. وبالنسبة للساحة السياسية يمكن الإشارة إلى التحول السياسي الذي تخطى النظام الملكي إلى النظام الشعبي.. وفي هذا الصدد شكّلت الثورة الإسلامية نقلة نوعية هامة في الحياة السياسية الإيرانية. حيث استطاعت لأول مرة ابعاد العلاقات السياسية - الاجتماعية عن قواعد الملكية الشاهنشاهية، ووضعتها بأيدي الشعب، حيث باتت الجماهير هي المسؤولة عن تحديد

نوعية هذه العلاقات وطبيعتها. وبناءً على ذلك شكّلت إرادة الشعب المعيار في تحديد طبيعة النظام واتخاذ القرار. سواء تأسيس النظام السياسي، وكذلك تشكيل أركانه، كل ذلك منوط برأي الأكثرية. وأن الشعب في ظل هكذا نظام سياسي، يشارك برأيه - بشكل مباشر وغير مباشر - في تأسيسه وتحديد أركانه واتخاذ قراراته الرئيسية. وأن هذا النموذج من الحكم يعتمد السيادة الشعبية، لأن رأي الشعب يشكل البناء الأساس في تأسيس النظام السياسي، ويعتبر نظاماً دينياً نظراً لإعتماده المبادئ والقوانين الدينية في الحياة السياسية والاجتماعية. السيادة الشعبية الدينية، وفي ضوء تجديد الخطاب الديني، أمر في غاية البساطة يمكن التعرف عليه واستنباط إبعاده، بالعودة إلى المراجع والنصوص الدينية. ومعنى هذا أن السيادة الشعبية الدينية لا تعني مزيج من الديمقراطية الغربية والتعاليم الإسلامية. وإذا ما تأملنا في مفهوم السيادة الشعبية الدينية التي تتضح إبعاده من خلال آراء وتصريحات قادة الثورة الإسلامية، يتبين أن الإسلام ينظر إلى المشاركة الشعبية في الحياة السياسية والاجتماعية بمثابة أحد حقوق الإنسان الفردية. ذلك أن الجماهير تتمتع بحق المشاركة في إطار المبادئ والقيم والقوانين الدينية. وأن هذا الحق يترجم بالنسبة لتشكيل النظام السياسي واتخاذ القرارات سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وبناءً على ذلك، ووفقاً لفكر الثورة الإسلامية، السيادة الشعبية الدينية نموذج للنظام السياسي الذي آمنت به المرجعية الدينية وعملت على تحليل وتوضيح إبعاده، وتبيان مقومات الحكومة الشعبية، والحقوق الأساسية التي تتمتع بها الجماهير في ظل وجود مثل هذا النظام السياسي .

السيادة الشعبية الدينية والنماذج الأخرى

بشكل عام يمكن الإشارة إلى نماذج منافسة لنموذج السيادة الشعبية الدينية على صعيد العالم الإسلامي والنظام الدولي. على صعيد العالم الإسلامي ثمة نموذج للسيادة الشعبية الدينية يتنافس في الغالب مع نموذجين هامين: نموذج الدولة الإيديولوجية / الراديكالية الدينية، ونموذج الدولة العلمانية .. وبالنسبة للدولة الإيديولوجية/ الراديكالية الدينية، فهي تعترف بمرجعية الدين

في الحياة السياسية - الاجتماعية. غير أنها ترى أن التعاليم الدينية تحدد مضمون الحياة السياسية - الاجتماعية، وتتولى تعيين السبل الكفيلة بالاجراء والتنفيذ في جميع الازمنة والامكنة. أما نموذج الدولة العلمانية، الذي يعد بمثابة نموذجاً آخر يشكل نداءً للسيادة الشعبية الدينية، فهو يؤمن بأن دور الدين يقتصر على تبين المبادئ والقيم الحاكمة على الحياة السياسية - الاجتماعية فحسب، وأن تنظيم ذلك لا يتطلب الرجوع إلى الأحكام والقوانين الشرعية. وبعبارة أخرى أن مرجعية الدين في تبين القيم الحاكمة على الحياة السياسية والاجتماعية موضع قبول، ولكنه يرى أن القوانين الوضعية المستلهمة من اجتهاد العقل البشري هي وحدها المسؤولة عن تنظيم الحياة السياسية - الاجتماعية، بدلاً من القوانين الشرعية.

أما بالنسبة لنموذج السيادة الشعبية الدينية الذي يطبق في إيران، ويتحدى النموذجين أعلاه، فهو يؤمن بتجديد الخطاب الديني القائم على أساس الاجتهاد الفقهي الحيوي المستنبط من الشريعة، سواء في الحياة الفردية والحياة الاجتماعية. وبطبيعة الحال بالنحو الذي كان عليه لدى المتقدمين، حيث كانت التعاليم الدينية تعتبر وحدها اللازمة الاجراء. ذلك أن التعاليم والأحكام التي تتعهد بتبيان المعتقدات، والمبادئ والقيم، والقوانين الدينية بالنسبة للحياة الفردية والاجتماعية، تعمل على تنظيم آليات التنفيذ المواكبة للظروف المكانية والزمانية. ولهذا تم اختيار نموذج السيادة الشعبية بمثابة نموذجاً لنظام الحكم في إطار الجمهورية الإسلامية، وقد بذلت جهود قيمة على مدى أكثر من أربعة عقود، لارساء وترسيخ دور الجماهير في تشكيل وبلورة النظام الإسلامي الذي آمن بالسيادة الشعبية الدينية. وما يجدر ذكره على صعيد النظام الدولي هو، أن نموذج السيادة الشعبية الدينية يشكل - في الغالب - نداءً للنموذج الليبرالي الديمقراطي باعتباره النموذج الأكثر شيوعاً في النظام الدولي. وكما هو واضح أن النموذج الليبرالي الديمقراطي يؤمن بمرجعية المبادئ والقيم والقوانين المعتمدة من قبل الليبرالية، وبالتالي لا دور للدين في الحياة السياسية - الاجتماعية - الاجتماعية للغرب.

البعد العرفاني والتربوي والعبادي للحج

إننا نستطيع أن نفكر فيما حشده التشريع الإسلامي في الحجّ من عدة جوانب، تتفرّع في شكلها وفي طبيعتها وفي إحياءاتها، فإذا وقفنا في أجواء الإحرام، فإننا نشعر بأنّ هناك نوعاً من أنواع التدريب ليتحرّر الإنسان من كلّ ما يعيق حركته من الارتباط بالأشياء التي يمارسها في عاداته، أو في أجواء الترف التي يحبّها، أو في أجواء الحياة الاجتماعية التي يعيش في داخلها.

الإجابة لله وحده

ثم بعد ذلك، نجد أنّ كلمات التلبية - فيما توحى به في معانٍ واسعة - تعني التزاماً أمام الله سبحانه، بطريقة مؤكّدة مضافاً بالاستجابة لكل نداءات الله، ليس - فقط - ما يقوله بعض المفسرين والمحلّين، إنّ كلمة «لبيك» يراد بها الاستجابة لنداء إبراهيم (ع) فيما أمره الله به، من أن يؤدّن للناس بالحج ليدعوهم إلى الإقبال إليه، في ما تحدث به القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج: ٢٦، ٢٧]. فنحن نرى أنّ المسألة أكثر شمولاً في ذلك؛ لتكون استجابة لكل نداءات الله في كتابه وفي رسالته في ما وجهه للناس، بعنوان «يا أيها الناس»، وفيما وجهه للمؤمنين من خلال الإيمان بعنوان «يا أيها الذين آمنوا». إنّ كلمة «لبيك» تعني أنّنا - يا رب - نلتزم في موقفنا هذا بكل نداءاتك بالإسلام كله، في عباداته، وفي أخلاقه، وفي جهاده، وفي سياسته واقتصاده، وفي مواجهة كلّ التحديات التي يواجهها الإنسان من الشيطان الداخلي في عمق

نفسه، أو من الشيطان الخارجي في عمق واقعه وفيما يحيط بحياته. إنها الحركة الصارخة في النداء الذي تنطلق به كل حناجر الحجاج؛ لتؤكد موقفهم الذي يريد أن يلتزم الإسلام من جديد، في مسيرتهم إلى مركز الدعوة الإسلامية الأولى في مكة، لتكون مسيرة الحجاج من سائر أقطار العالم هي مسيرة الإسلام التي تقول - من خلال تلك الكلمات الخاضعة الهادرة - يا رب، إذا كان الناس قد تركوا الإسلام، فلم يؤمنوا به، ولم يرتبطوا به، وإذا كان المسلمون قد انحرفوا عن خطه، وتركوا الكثير من تعاليمه، وانتموا إلى الاتجاهات الأخرى التي تختلف عن خطه المستقيم. إذا كان الواقع هو ذلك، فما نحن قادمون إلى بيتك المحرم، لنقول لك من كل قلوبنا، ومن كل عقولنا، ومن كل مواقعنا ومواقفنا وتطلعاتنا. «لبيك اللهم لبيك»، فقد جعلت الإسلام لنا - بكل عمقه وامتداده - رسالة الحياة، ونحن نريد أن نطلق إلى الحياة من خلاله.

ومن هنا، قد نفهم أنّ التشريع لم يقتصر على كلمة «لبيك»، ولكنه أضاف كلمة «وحدك لا

شريك لك»؛ ليؤكد الإنسان فيها أن التلبية التي تتوجه إلى الله سبحانه، لا يمكن أن تتوجه لأي إنسان آخر. فنحن في الحياة عندما نريد أن نستجيب لنداء من أي مناد، أو لكل مبدأ أو قانون من أي مشروع أو مفكر، أو لأية علاقة بالناس، فلا بد من أن يكون ذلك منطلقاً من استجابتنا لله، وعلاقتنا به؛ لتكون علاقتنا بالحياة كلها منطلقة من ذلك، فلا شيء ولا أحد مع الله، فهو وحده الذي نتوجه إليه بكل ما في قلوبنا من محبة وإخلاص وعبودية، ولا نتوجه إلى أي شخص معه، بل إن علاقتنا بالناس منطلقة من علاقتنا بالله، من خلال باب الله الذي يدخل منه الجميع، حتى إنّ علاقتنا برسول الله، وبكل رسل الله، لا ترتبط بهم كأشخاص، بل بصفة أنهم رسل الله والمبلغون عنه، وهكذا هي علاقتنا بالأئمة والأولياء، من خلال أنهم عباد الله الذي أطاعوه بما يجب وعبدوه كما يريد.

(لبيك لا شريك لك) لن نجيب غيرك، ولن نستمتع إلى أي نداء، سواء انطلق من حاكم، أو من حكومة، أو من حزب، أو من محور إقليمي أو دولي، فأنت وحدك المحور الذي تتحرك في



الفردية، ثم نمارس العبادة - بعد ذلك - جماعة في صلاة جماعة محدودة، قد تتسع في أفرادها وقد تضيق، تبعاً للموقع وللإمام والمناسبة، وتبقى العبادة في حدودها الفردية والاجتماعية الضيقة، فلا نعيش فيها الانفتاح في عبادتنا لله على مستوى حجم الأمة كلها، تبعاً للتنوع الواسع في النطاق العالمي الإنساني.

وهنا تأتي عبادة الطواف، لتكون العبادة حول البيت الإلهي العالمي في حجم الأمة كلها، عندما يشترك المسلمون - من سائر أقطار العالم - ليعبدوا الله كأمة، يتمثل فيها العربي والفارسي والهندي والأميركي والأفريقي والأوروبي، وما إلى ذلك؛ لينطلق الجميع في عبادة إسلامية عامة كأمة؛ ليعيشوا الأفق الواسع في العبادة، وليتفاعلوا بهذه الشخصية الجديدة التي تؤكد في داخلهم معنى الامتداد الإنساني الشعوري في روحية العبادة بين يدي الله، فيتخلصون بذلك مما اعتادوه في حياتهم؛ لأنَّ الناس إذا مارسوا فكرهم وعبادتهم ومسؤولياتهم في النطاق الضيق، فإنَّ ذلك يتحول إلى حالة نفسية ضيقة مخنوقة في الدائرة المحدودة، فينسبون صفتهم كجزء من الأمة الواسعة، بينما توحى العبادة في داخل التنوع الإنساني للأمة المسلمة بالبعد العالمي للشخصية وهي بين يدي الله رب العالمين؛ ليمثل من خلال ذلك الهدف التربوي للحج، وهو صنع الإنسان المسلم العالمي، الذي يتحرر من ذاتيته وعائلته وإقليميته وقوميته عندما يطوف بالبيت العالمي لله.

وتلك هي القضية التي قد نحتاج إلى أن نتمثلها ونعيشها في واقعنا الاجتماعي والسياسي، لندخل في نشاطاتنا في دور جيد وساحة جديدة؛ لأنَّ من مشاكلنا الإسلامية أنَّ المسلمين قد يغلب عليهم الاهتمام بقضاياهم الخاصة، التي قد تتطور من الحالة الذاتية إلى حالة البلد الذي ينتمي إليه الإنسان المسلم، فيرى أنَّ قضايا بلده الإسلامي هي المحور الذي يجب أن يدور حوله كل النشاط الإسلامي، ما يجعله يصرف كل طاقاته في هذا الموقع، ويحاول أن يستفيد من كل قضايا العالم من أجل قضيته، من دون أن يفكر في أنَّ عليه أن يستفيد من بلده لخدمة قضايا العالم الإسلامي الأخرى، الأمر الذي قد يتحول

لندخل فيها دوائرنا العائلية والقبلية، فهذا مسجد آل فلان، وذاك مسجد تلك القبيلة، وتدخل فيها دوائرنا القومية، فهذا مسجد العرب، وذاك مسجد العجم. وهكذا نحاول في مساجدنا أن نحافظ على كل الحدود التي تفصلنا عن بعضنا البعض، وتبعدنا عن ساحتنا الإنسانية الواسعة؛ لنؤكد فيها عصبيتنا العائلية والإقليمية والقومية، أو لنبقى في الدائرة الضيقة المحدودة التي تحجب عنا رؤية الدائرة الواسعة للحياة وللإنسان، فكانت الكعبة - البيت الحرام - التي جعلها الله قياماً للناس كل الناس، بعيداً عن كل صفاتهم اللونية والعرقية والجغرافية؛ لتكون بيتاً لله في حجم العالم؛ البيت الإلهي العالمي الذي يشعر كل مسلم بأنه بيته ورمزه ومنطقه، ولهذا أراد الله لهم أن يتوجهوا إليه أينما كانوا {قَوْلٌ وَجْهٌكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: ١٤٤]، وأن لا يتوجهوا إلى غيره؛ ليكون قاعدة وحدتهم، ومنطلق عالميتهم، وموقع إنسانيتهم.

تنوع إنساني داخل الوحدة

ثم قد نفهم جانباً آخر من الصورة، في الطواف حول البيت كعبادة، فنحن نعبد الله، بحسب الحالة الطبيعية، أفراداً في بيوتنا ومواقعنا



إننا ندعو - من خلال الحج - إلى أن نصوغ من جديد شخصية الإنسان المسلم العالمي، الذي يفكر في الإسلام بحجم العالم من خلال قدراته وإمكاناته، وليطور نفسه بحيث يستطيع أن يكون مفيداً للمسلمين في كل منطقة من مناطق الأرض، فلا تتجمد طموحاتنا في الزوايا الضيقة والمواقع المحدودة، ولا تتساقط مواقفنا عند الحواجز الذاتية الخاصة.

ساحته؛ لأن ذلك هو الذي يجعلنا ننسجم مع عقيدتنا إذا أجبناك.

(لبيك لا شريك لك)، وتعود الكلمة من جديد؛ لتتضاعف، ولتعمق المشاعر في نفس الإنسان، لتطل على كل ما في الحياه من ملوك وجبابرة وطغاة، وما تحتويه من نعم وثروات، فلا نجد المداحين الذين يمدحون هذا ويحمدون ذاك؛ ليؤكد الإنسان في موقف الحج أن الملك لله وحده، وأن الحمد له وحده، وأن النعمة له وحده، فكل حمد مستمد من حمده، وكل نعمة مستمدة من نعمته، وكل ملك فهو ظل لملكه، فليس هناك محمودون ممدوحون، وليس هناك منعمون في ذاتهم، فهو وحده صاحب الحمد والملك والنعمة. وبذلك، يحس الإنسان هناك - أمام الله وحده - أنه بعيد عن كل أحد غير الله. ومن خلال ذلك، يتأكد معنى العبودية المطلقة لله، بأن تكون عبداً بكلِّك، وبفكرك، وشعورك، وضميرك، وحركتك، وكل خطواتك العملية في الحياة وفي جميع مشاريعك على كل صعيد، وأن تكون الإنسان الذي يعيش العبودية لله؛ لتنتقل حريتك أمام العالم، وأمام الأشياء من خلال ذلك، وبهذا تلتقي الحرية والعبودية في عمق الإنسان، فتتعمق حريتك بمقدار ما تتعمق عبوديتك لله، فأنت من موقع عبوديتك لله تأخذ حريتك. أما الآخرون، فإنهم يمارسون عبوديتهم للناس وللشهووات وللمطامع من موقع حريتهم المطلقة أمام الله.

التمرد على الصنمية

ثم ننتقل في بعض إichاءات الحج لنصل إلى البيت الحرام، فنتساءل: ماذا يعني البيت؟ وماذا يعني الطواف حوله؟ هل نقدر الأحجار التي يتألف منها؟

إنها ليست حتمية جديدة تتخذ الأحجار الثابتة بدلاً من الأحجار المتحركة، بل هي التمرد على الصنمية، والرمز الذي يُراد من خلاله تربية الإنسان على طريقة جديدة في مواجهة حركة الإسلام في صعيد الواقع، فكيف نفهم ذلك؟ إننا - كمسلمين - قد نصنع لله بيتاً في مدنا وقرانا، فهذا مسجد للقبيلة، وذاك مسجد للمحلة، وآخر مسجد للبلد، وتنوع الصفات المحدودة



وإمكاناته، وليطور نفسه بحيث يستطيع أن يكون مفيداً للمسلمين في كل منطقة من مناطق الأرض، فلا تتجمد طموحاتنا في الزوايا الضيقة والمواقع المحدودة، ولا تتساقط مواقفنا عند الحواجز الذاتية الخاصة.

إننا إذا استطعنا الوصول إلى هذا الهدف الكبير في صنع الشخصية الإسلامية العالمية؛ فإننا نستطيع أن نعتبر أنفسنا في الموقع الصحيح للبداية الحاسمة التي تتحول فيها إلى أمة، بدلاً من أن نبقى أفراداً متناثرين، أو جماعات متفرقة، وهذا هو ما نستوحيه من معنى الطواف حول البيت.

السعي تمثل لمعنى الطاعة

ثم ننتقل إلى السعي بين الصفا والمروة، الذي يمثل حركة الإنسان من بداية معينة إلى نهاية معينة، في أشواط، من أجل أن نتعبد لله في ذلك، لأنه أمرنا به، فكان السعي حركة في معنى الطاعة وسر العبادة، لتكون انطلاقاً إيجابية تربوية في بدايات ونهايات أخرى في حركة الإنسان في طلب العلم، أو في تحصيل القوة، أو في مواجهة التحديات التي يفرضها المستكبرون، أو في إطلاق المواقف المتحدية ضدهم، أو في قضاء حوائج الناس؛ لأن الله طلب منا السعي من أجل هذه الأمور، كما طلبه منا في هذا المكان. إن الله يريد منا أن نجعل الحياة حركة من أجل الله في خط المسؤولية؛ لنحوّلها إلى ساحة تتعد عن كل الفئات الطاغية والكافرة والمستكبرة؛ ليكون سعيها بدايةً ونقطة انطلاق إلى كل الساحات في العالم، فيما أرادنا الله أن نتحرك فيه من ساحات.

تأمل وتفكير ومراجعة للذات

ثم نعيش - في الحج - الوقفات، في عرفة، وفي المزدلفة، وفي منى التي نعيش ليالها في لحظات تأمل وتفكير، حيث يشعر الإنسان عندما يندمج في أجواء الحركة في الحياة، في أي موقع من مواقعها، وفي أي اتجاه من اتجاهاتها في العلم والسياسة، والحرب والسلام، بأنه لا بد له من الوقوف ليفكر، وليتأمل، وليحسب حساب الأرباح والخسائر؛ ليكتشف ما يمكن أن يكون قد



نقطة مهمة، وهي أن العقلية الإسلامية الشاملة تفرض على الإنسان المسلم الذي يتحرك في قضية بلده أو منطقته - قضية إسلامية - أن يدرس موقعها من المسألة الإسلامية في العالم، من حيث طبيعتها السياسية أو الاقتصادية أو الأمنية، ليعرف كيف تكون حجم حركته والموقف الذي يجب اتخاذه من هذا الوضع أو ذاك، أو هذا البلد أو ذاك، فهناك فرق بين أن يفكر في أن ينتصر لقضية بلده حتى لو انهزمت كل قضايا الإسلام في العالم، وبين أن يفكر ببلده كجزء من قضايا الإسلام الكبرى.

إننا نقول: لا تتحمسوا لقضاياكم الخاصة لتقولوا إن المسلمين في هذا البلد يهتمون بقضاياهم، لأنهم لا يجدون أحداً من المسلمين الآخرين قادراً على حمايتهم، فهناك نقطة مهمة لا بد من ملاحظتها بدقة، وهي أننا يجب أن نهتم بقضايانا على أساس أنها جزء من كل، لا على أساس أنها قضية منفصلة عن الجسم الإسلامي.

صياغة جديدة لشخصية المسلم

إننا ندعو - من خلال الحج - إلى أن نصوغ من جديد شخصية الإنسان المسلم العالمي، الذي يفكر في الإسلام بحجم العالم من خلال قدراته

إلى شعور داخلي بالانفصال عن قضايا العالم. وهكذا نلاحظ أن الواقع السياسي الذي يعيشه المسلمون في بلدانهم؛ تنوزع قضاياهم وتنوع ما بين قضية إقليمية إسلامية في هذا البلد، وقضية قومية في ذاك المحيط الجغرافي، وأن المسلمين يتحركون في حجم هذه القضايا تبعاً لمواقعهم المحلية، ولا يحاولون الاهتمام بقضايا الآخرين إلا من خلال علاقتها بهذه القضية، كما لو كانت قضية أجنبية يلامسونها كما يلامسون أية قضية بعيدة عن ساحاتهم، وقد يسجلون على الآخرين نقطة سوداء إذا انشغلوا عن هذه القضية بقضيتهم، حتى لو كانت قضية إسلامية.

وقد يقول البعض: إنني أهتم بهذه القضية الخاصة لأنها قضية إسلامية، ولأن طبيعة الموقع الذي أمثله في هذه الساحة يفرض عليّ الحركة في هذه الدائرة؛ لأنني أعرف منها ما لا يعرفه الآخرون، ولأنني أملك من مواقعها ما لا يملكه الآخرون، في نوعية الحركة، وفي طبيعة النتائج؛ ولأن قيمتها قد تفوق قيمة كثير من القضايا الإسلامية الأخرى، بالنظر إلى أهميتها السياسية وقيمتها الاستراتيجية فيما هو الواقع الإسلامي في حركة الصراع.

قد يكون هذا الكلام معقولاً ومقبولاً، ولكن هناك



وقع فيه من انحراف في خط السير، لثلا تؤدي به الغفلة في اندفاع الحركة إلى الشعور بالغرور، الذي يوحى له بضخامة معينة في شخصيته التي لا وجود لها في الواقع، فيخيل إليه بأنه لا يمكن أن يخطئ لأن الحق معه فيما يملكه من وضوح الرؤية للأشياء ومستوى المعرفة في عقله وتجربته.

إن هذه الوقفات توحى - من موقع الرمز - بأن على الإنسان أن يخفف من سرعة اندفاعاته؛ ليقف ويفكر فيما قاله أو فعله، ليكتشف احتمالات الخطأ والصواب فيه؛ لينقد نفسه نقداً موضوعياً في كل ذلك، ويفهمها جيداً.

إن الموقف في عرفات والمزدلفة ومنى - أمام الله - هو موقف نقدي تأملي ليذكر الإنسان نفسه وربّه، ويفكر في موقعه من الله، وفي ما يجب أن يتحرك فيه نحو المستقبل من أعمال ومشاريع ونتائج، ولا سيما في منى، التي توحى إليه لياليها بأنه في الموقع الأخير من الحج، فكيف كان قبلها؟ وما الذي هو عليه الآن؟ وماذا يريد أن يفعل غداً؟ وما هي قصة طموحاته الجديدة؟ هل هي قصة الدنيا، أو هي قصة الآخرة والدنيا في عملية الاندماج بينهما، في ما هي الفكرة، وفي ما هي الروح، وفي ما هو الهدف الكبير في ابتغاء رضوان الله، كما يريد الله لنا أن نعيش المسألة هناك في الابتهاال إليه، حيث يقول تعالى: {فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا} [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢]؟

وبذلك، فإن الحج لا يفصل الإنسان عن الدنيا، بل يريد أن يربطه بالآخرة إلى جانب الدنيا في عملية تكامل وامتداد.

إطالة على فكرة الصراع مع الشيطان

وأخيراً، إن الحج يُطل بنا على فكرة الصراع مع الشيطان، من خلال الإيحاء الحسى في عملية رجم الشيطان بطريقة رمزية لا تتعد عن الواقع فيما تتحرك به الحياة، بحيث لم يستحضر شيطاناً خفياً يعيش في زوايا نفسه من دون أن يعرف طبيعته، بل إنه يستحضر في داخل وعيه الذاتي

كل الشياطين، من خلال طبيعة فكر الشيطان، لا من خلال حجمه، ويتطلع ليجد الشيطان في نفسه وفي واقعه؛ ليبصر ويصدق جيداً أين هو الشيطان في داخل ذاته؟ وأين هو في حياته الاجتماعية والسياسية؟ وما هو حجمه فيما يتمثل به من أحجام القوة في مواقع السلطة بين حجم كبير وصغير، وأكبر أو متوسط؟ وهذا هو معنى نهاية الحج في عملية رجم الشيطان.



إن كلمة «لييك» تعني أننا-

يا رب - نلتزم في موقفنا هذا

بكل نداءاتك بالإسلام كله،

في عباداته، وفي أخلاقه،

وفي جهاده، وفي سياسته

واقتصاده، وفي مواجهة كل

التحديات التي يواجهها الإنسان

من الشيطان الداخلي في عمق

نفسه، أو من الشيطان الخارجي

في عمق واقعه وفيما يحيط

بحياته.

أيها الإنسان المسلم الحاج، لقد انتهيت من عملية التدريب فيما هي التجربة على مستوى الحركة الذاتية في العبادة، في المواقع التي لا تمثل التحدي الصارخ في ساحة الصراع، وها أنت تقف لرجم الشيطان، لترى أمامك كل شياطين الكفر والظلم والاستكبار في مواقع القوة في العالم، وها إنك قد انتهيت من الحج إلى ساحة العمل؛ لتنطلق في الحياة كلها بكل أصنامها ومواقفها ومشاكلها وشياطينها ووسائلها وغاياتها. إنها عملية النجاح في الحج بعد ذلك، ليست في نهاية الحج، بل في نهاية الحياة عندما يقوم الناس إلى رب العالمين.

ولكن هل ينتهي الحج بانتهاه أعماله؟ إنه لم ينته بل بدأ الآن، ليكون الحج إلى الحياة الإسلامية التي تنتظر أكثر من حج، إلى الساحات الملتهبة في الواقع الإسلامي في كل أنحاء العالم، ليكون الدين كله لله، وتكون الحياة كلها في خدمة الله. وتلك هي قصة الإنسان عندما يعبد ربه من موقع إحساسه بالإيمان المسؤول والهدف المسؤول، لا من موقع إحساسه بالفراغ. وذلك هو البعد الحقيقي للحج؛ إنه صناعة الإنسان المسلم الذي يحب الله ويحب الإنسان والحياة من خلال هذا الحب الواعي الخاشع المسؤول.



الحج ودوره في التجسيد الواقعي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

■ الدكتور محمد هادي فلاح زاده

ملخص البحث

على خطى التقريب بين المذاهب الاسلامية
وارساء الوحدة بين المسلمين، الهاجس الاكبر لكبار
المصلحين الاسلاميين.

و الحج باعتباره ملتقى عظيمًا للمسلمين في اطار
الامة الاسلامية، بوسعه الاضطلاع بدور في غاية
الاهمية لتوحيد الجهود وتعزيز التعاضد والتكاتف
بين ابناء الامة الواحدة. ذلك ان الاجتماع الموحد
تحت لواء الاسلام وفي ظلال القيم الاسلامية الاصيلية،
رغم التباين العرقي، والمذهبي، والثقافي، والظاهري،
لفت الانظار الى اهمية موسم الحج بمثابة مكانا
يتيح فرصة حقيقية لتمرير التلاحم الاسلامي وتشكيل

من اعظم الاسلحة التي تستخدم اليوم لمواجهة
الاسلام والشعوب الاسلامية، إثارة الاختلاف والتفرقة
بين المسلمين والمجتمعات الاسلامية. وفي هذا
الصدد تعتبر الطائفية والتعصب المذهبي افضل
السبل للاعداء في استهداف الامة الاسلامية، حيث
يتسنى لهم الخوض في هذا المجال وتوسيع دائرة
الخلافات والعداء بين الشعوب الاسلامية وإساءة
استغلال ذلك لفترات طويلة. ولذلك شكل التحرك





يمكن أن تتجلى الاخوة الاسلامية بين المسلمين على نطاق البلدان الاسلامية. ولهذا ثمة تأكيد كبير على الذهاب الى الحج واهمية اداء مناسك الحج، واعتبر ذلك بمثابة امراً خاصاً.

و في ضوء كل ذلك، يتضح ان الحج احد مظاهر تجلي ابعاد الامة الاسلامية في مكان وزمان محددين، وان بإمكان الصحوه التي ينعم بها الحاج في ظل فرائض الحج ومناسكه وشعائره، ان ترافقه طوال عمره، والتمتع بمزايا تكاتف المسلمين واتحادهم. وعليه الحج ليس مجرد طقوس وشعائر عقديّة، وإنما هو مدعاة لبوارة الأخوة الاسلامية ومن ثم تعبيد الطريق امام تشكل الامة الاسلامية. وفي ضوء هذه الرؤية ثمة سؤال : ما هي الشواخص الاساسية التي يكتنزها الحج وبوسعها التجلي للمسلمين الحاضرين في الحج ومشاهدتها عن كثب جنباً الى جنب مع المقومات الدينية العقديّة الرئيسية الأخرى للامة الاسلامية ؟. فيما يلي نحاول الاشارة الى بعض المولفات الاساسية والعناصر التي بوسعها تجسيد مفهوم التقريب كواقع عيني :

١ - الحج مظهر تجلي الاخوة الاسلامية

فلسفة تشريع الحج الى الحد الذي تعتبر مشهودة بالنسبة لنا، قائمة على اساس مقولة الاسلام وتحقق مفهوم " ان اكرمكم عند الله اتقاكم ". فلا اعتبار للقوم والقبيلة والمذهب والمعتقدات الخاصة في الحج . الحج لا علاقة له بذلك. كذلك بناء على فحوى الآية " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .. "، الاسلام هو الجوهر والسبيل الامثل للتواصل بين الخلق والخالق، وان هذا الاتصال والتواصل يتيسر عن طريق الحج في اطار التجمع في زمان ومكان محددين وبقواعد واحدة لجميع المشاركين. ذلك ان ارتباط الافراد بالله تعالى في الحج إنما هو بوحى من ماهيتهم الانسانية وليس بسبب الانتماء القومي أو القبلي أو المذهبي. بتعبير آخر، الاشخاص جميعهم هم مخلوق خالق واحد، وهم في الحقيقة أخوة واخوات ازاء بعضهم البعض. والحج هو مقر حضور هؤلاء الاخوة والأخوات في محضر الحق تعالى. وفي ظل هكذا توجه في الحج، يتم التخلي عن الفوارق القومية والقبيلة والمذهبية، ويتمرن الحجاج - في مدة زمنية محددة - على مفهوم الاخوة والمساواة من خلال الوحدة في الهدف، وفي الملبس، وفي المناسك التعبدية، وفي الآداب، وفي

لا يخفى ان ثمة بحوث ودراسات متعددة حاولت تسليط الضوء على مكانة الحج وأهميته والدور الذي يمكن أن يضطلع به في حياة المسلمين. غير أننا نحاول هنا دراسة ابعاد الحج الابراهيمي وخصائصه وسماته، والتأمل في مظاهر تجلي الامة الاسلامية الموحدة في سياق فترة زمنية محددة - موسم الحج - والخوض في المشخصات الرئيسية القادرة على بلورة التقريب بين المذاهب الاسلامية، والوقوف على مدى توافرها والسبيل لتسخيرها في تشكيل الامة الاسلامية الموحدة.

الحج وتجلي أبعاد الامة الاسلامية

الاسلام وكما أكد القرآن الكريم، دين جامع وكامل ولم يهمل شيئاً دون ان يتطرق اليه، لافتاً الى حكمته وارشاداته في مختلف مناحي حياة الانسان. غير انه من بين كل الفرائض والتعاليم الدينية، كلما حظيت فريضة كالحج باهتمام وتأکید القرآن الكريم والنبي الاكرم والائمة الطاهرات. ذلك ان الحج وفضلاً عن احتوائه على ممارسات عقديّة واجتماعي وسياسية وثقافي و.. فهو مدعاة لتجلي الوحدة في جميع شؤون الحياة الانسانية نظير، الوحدة في النية، الوحدة في الهدف، الوحدة في الاعمال العبادية، الوحدة في الالذكار والآداب، الوحدة في اللباس، الوحدة في الاماكن المقدسة، الوحدة في الحركة، الوحدة في التوقف، الوحدة في الجهة، الوحدة في الرؤية، والوحدة في ادراك مصدر الوجود. وفي هذا الصدد يقول الامام الخميني: " الحج افضل مكان لتعارف الشعوب الاسلامية، حيث يتعرف المسلمون على اخوتهم واخواتهم في الدين من مختلف انحاء العالم، ويجتمعون في البيت الذي اختصه الله تعالى بالمجتمعات الاسلامية واتباع ابراهيم الحنيف. وبتجاهل ما يشخصهم من ألوان، وقوميات، واعراق، يتوافدون على البيت العتيق. وبمراعاة الاخلاق الاسلامية الكريمة، وتجنب المجادلات والتجملات، يجسدون صفاء الاخوة الاسلامية وملامح تشكل امة الهادي المصطفى".

و عليه فان بمقدور الحج ان يحتل موقعه كايقونة الفرائض الاسلامية في تجلي الاخوة الاسلامية، ولفت انظار الشعوب الاسلامية الى أنه، اذا كان بالإمكان في هكذا موقع وبفضل حرمة اداء المراسم وفرائض الحج، تجاهل القيم القومية والمذهبية، فلماذا لا



الامة الاسلامية الواحدة.

والبحث التالي، وفي ذات الوقت الذي يستعرض معالم الحج، ومحاولة الوقوف على المشخصات التقريبية من قبيل : التوجه الأخوي، والثراء المعرفي، وتحديد هوية العدو - التي تشكل في الحقيقة الاركان الرئيسية الهامة للتقريب بين المذاهب الاسلامية - يحاول التعريف بالنهج الذي تتعامل به الشعوب الاسلامية في اطار البيئة اليمانية بما يتطابق مع تجربة موسم الحج القصيرة، وبالتالي الوقوف على التجسيد العيني لدور الحج في التقريب بين المذاهب الاسلامية.

التأمل الدقيق في فحوى التعاليم والقيم الاسلامية يرشدنا الى مواقع متعددة، غير أننا نحاول هنا تسليط الضوء على احد المواقع المتمثل بالحج. وفي هذا الصدد نحاول الاجابة بكل شفافية عن السؤال الآتي : "كيف يمكن التقريب بين المذاهب الاسلامية انطلاقاً من مناسك الحج، باعتباره أعظم ملتقى قادر على تجسيد واقع الامة الاسلامية المنشود بشكل عملي".



٣ - العدو المشترك

من جملة الموضوعات الهامة التي تشكل عائقاً دون تحقيق التقريب بين المذاهب الإسلامية، محاولات العدو المشترك الذي لا يألوا جهداً عن إثارة الفتنة والتفرقة بين أبناء الأمة الواحدة. ولا يخفى ان احد المبادئ الأولية للبلدان تتمحور حول تحديد المصالح ومحاول تحقيقها. وبدورها تحاول الدول الاستعمارية تحديد مصالحها والسعي للاستحواذ على ثروات الدول الإسلامية ومصادرة ارادتها. وفي هذا الصدد تواجه البلدان الإسلامية اليوم هجمة شرسة من قبل الناهبين الدوليين والصهيونية الدولية، تنصدها محاولات مستميتة لإثارة الاختلافات والتفرقة بين هذه البلدان وشعوبها المسلمة.

وتتجلى اهمية ملتقى الحج، أو مؤتمر الحج الاعظم، بالدور الذي يضطلع به الملتقى في التمهيد الى تشكيل الأمة الإسلامية، الأمة التي ينبغي لأفرادها العمل معاً على تمهيد الأرضية لبلورتها وتحقيقها، بما في ذلك التعرف على أعدائها وخصومها والاحاطة بأهدافهم ومخططاتهم. وإذا ما تحقق ذلك بمختلف ابعاده والتزاماته، بوسعه الارتقاء بالعالم الإسلامي الى ادراك القيم الانسانية والاخلاقية الرفيعة. ومثل هذا يعتبر في غاية الاهمية بالنسبة للعالم الإسلامية، وتأهيله لقيادة المجتمع الانساني ونصرة المظلومين والمستضعفين.

وتعتبر البراءة من المشركين في الحج، مؤتمراً عظيماً للتعرف على اعداء الأمة الإسلامية. فإذا ما تحققت البراءة بشكلها السليم، سيتسنى مشاهدتها في اوساط جميع الشعوب الإسلامية. ولابد من الالتفات الى ان البراءة من المشركين يجب ان يسبقها التعرف على الاعداء أولاً، ومن ثم العمل على نفي وطرد العدو المشترك. ولا يخفى ان مثل هذه المعرفة يمكن ان تتحقق في الحج من خلال التجارب والتحرك الفكري والثقافي للنخب الفاعلة والمؤثرة في المجتمع. وعليه موسم الحج عبارة عن ملتقى عظيم للتعرف على الاعداء أو تعريفهم للمجتمعات الإسلامية. ولأجل تحقيق ذلك يحظى التقريب بين الافكار والحرص على تناغمها وانسجامها بأهمية بالغة. البراءة من المشركين في الحج هي في الحقيقة عبارة عن تشخيص العدو ولفت الانتظار اليه، وكذلك سبل مواجهة الاعداء والاحاطة الكاملة بأهدافهم ومخططاتهم.

الثقافية بين الشعوب، فضلاً عن تمتع الشعوب المسلمة بالموقع الاستراتيجي والثروات الطبيعية الغنية والقوى الانسانية المناسبة، كل ذلك بمثابة مجالات متعددة تعزز التقارب والتعاون واتخاذ القرارات المشتركة على اساس المصالح والاهداف الإسلامية المشتركة. ويعتبر ملتقى الحج العظيم افضل تجمع دولي - اسلامي يمكن استغلاله للتباحث ومناقشة وجهات النظر المتعددة ازاء مختلف الموضوعات ونقدتها المصادقة عليها، وبالتالي التعرف على قضايا العالم



الإسلامية والتحديات التي يواجهها والعمل معاً على إيجاد الحلول الناجعة لها. ومن ثم الانتقال الى مرحلة تجسيد نمط الحياة الإسلامية على اساس التعهد اداء القيم الإسلامية، وبالتالي تحويله الى نمط للحياة بالنسبة للدول الإسلامية، والعمل معاً على تشكيل الأمة الإسلامية وتحقيق حضارتها المنشودة. وفي هذا الصدد يقول سماحة القائد الامام الخميني : ” المهم هو ان نعلم ان الحج يشكل احد نقاط قوة تعاليم الاسلام المقدسة. علماً ان نقاط القوة في الشريعة الإسلامية ليست بالقليلة، غير ان الحج ونتيجة للخصوصيات التي يكتنزها تجعله متقدماً. في الحقيقة يمكن القول ان الحج يشكل مصدر اقتدار المجتمع الإسلامي. الحج مدعاة لاقتدار الأمة الإسلامية. وسوف يأتي اليوم الذي يدرك فيه المسلمون كيف ان الحج مدعاة لاقتدار واستحكام واعتلاء وعزة الأمة الإسلامية. وذلك في ظل تحقيق بلوغهم الفكري والعمل معاً على بلورة المعنى الحقيقي لكلمة الأمة الإسلامية.”

الحركة، و.. الحج إنما هو استعراض لتحول الشعوب الإسلامية الى أمة إسلامية. وفي ضوء هذه الرؤية والتأمل في تداعيات الحج، يمكن القول ان بإمكان المجتمع الإسلامي - في ظل اقامة الحج الإبراهيمي وتعميم ذلك على كل الحياة الاجتماعية - الاستلهاً من مفهوم التقريب في المجالات الإسلامية البنوية، والارتقاء في بلورة ابعاد الأمة الإسلامية، دون نفي ماهية القومية والقبلية والمذهبية. ولهذا الحج إنما هو مظهر تجلي الاخوة الإسلامية وسريان ذلك الى جسد العالم الإسلامي،

وبالتالي بوسع التوجهات التقريبية الاستفادة من هذه الأجواء ومحاولة توسيع دائرتها وارساءها كواقع ملموس.

٢ - الحج والاطلاع على احوال المسلمين

احد التداعيات العملية الاساسية الناتجة عن ملتقى تعارف الاخوة والاخوات في الدين على صعيد الميدان، هو أنه في هكذا فضاء يمكن تبادل التجارب والخبرات والتعرف على القدرات والفرص والتحديات، والاحاطة بنقاط الضعف التي تعاني منها الشعوب المسلمة. وفي ظل المعرفة والالتزام والوعي للمصالح المشتركة، يتحقق التضامن والتعاون والاتحاد بين الشعوب الإسلامية. ولا يخفى ان تحقق التفاهم على اساس المعرفة والمصالح المشتركة، ليس بالامر الصعب والمستبعد. ويمكن ان نجد مصداق ذلك فيما هو قائم اليوم بين الدول الأوروبية والذي يستند الى المنافع الدنيوية البحتة. و اليوم وبالالتفات الى مقومات التواصل والارتباط ، اضافة الى التقدم العلمي والصناعي، وسهولة التبادل



الحج في مواجهة أخطار الإنعزال الاجتماعي

■ زهير الأعرجي

لإستيعاب مفردات وشروط الحياة الاجتماعية. وتلك الطاقة والقابلية النفسية لبدء من إشباعها حتى يتحقق الإجتماع الإنساني الذي هو أصل بقاء الحياة الإنسانية على وجه الأرض. ويعتبر العزل القسري والسجن الإنفرادي من

هي أن الحقيقة الخارجية التي يتم تصورها في ذهن الإنسان لا يمكن بناؤها إجتماعياً إلا بمساعدة الآخرين، فنحن لا نستطيع أن نفهم عقيدتنا في الخلق والتكوين والحياة الاجتماعية إلا عن طريق رسائل رمزية يحملها الآخرون إلينا. ولذلك فإن للفرد طاقة نفسية

يعتبر الإنعزال الاجتماعي من أخطر العوامل التي تؤدي إلى الإضطرابات العقلية التي تصيب الفرد المحروم من المشاركة في النشاطات الاجتماعية. والنقطة الرئيسية هنا



عن مجتمعاتهم الوثنية وتعبيدهم في أماكن نائية عن عيون المجتمع ونظامه الكافر حتى مجيء الوحي، كما هو واقع خاتم الأنبياء محمد (ص) الذي كان يتعبد في غار حراء حتى نزول جبرئيل (ع) عليه. أما الإنعزال الاجتماعي الموضوعي فهو الإنعزال الذي يفرضه المجتمع على الأفراد عبر وسائله الحضارية، كالصنيع الحديث مثلاً. فالأحداث التي رافقت الثورة الصناعية في أوروبا في القرن الثامن عشر وما صاحبها من إنتهاك لحرمة العمل والعمال، وإنكسار للأواصر العائلية والعشائرية، وإزدحام المدن، وثبات الأنظمة السياسية على الإيمان بالمذهب الفردي، كلها أدت إلى إحداث حالة عظيمة من الإغتراب الثقافي والاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع خصوصاً فئة الشيوخ والعاجزين عن العمل والشباب الباحثين عن عقيدة تفسر لهم معاني الحياة الإنسانية. ولأنَّ الإسلام - باعتباره ديناً ورسالة عالمية غير مقيدة بزمان معين - أهتم بقضية الإغتراب الإنساني. وعالج تلك المشكلة عبر حثَّه الأفراد على ضرورة الإنتماء الاجتماعي التي لاحظنا أهميتها الفائقة في كسر طوق الإضطرابات العقلية والنفسية. وكان الحج أحد مصاديق محاربة الإغتراب الإنسان على مرَّ التاريخ. ونظرة خاطفة لطبيعة الحد في مكافحة الإنعزال الاجتماعي، تبين لنا النقاط التالية:

- ١- إنَّ التهيؤ الاجتماعي للسفر يجمع الأفراد لفترة زمنية معينة، مما يساعدهم على كسر طوق العزلة الاجتماعية.
- ٢- إنَّ فكرة الإستطاعة تشجّع الأفراد على العمل الجاد من أجل التحصيل المالي والإكتفاء، وهذا يبعد الأفراد عن الكسل ويبعدهم عن الإنعزال أيضاً، لأنَّ التكسب غالباً ما يكون جماعياً.
- ٣- إنَّ مناسك الحج تعكس طبيعة التجمع الإنساني. فالمسلك الجماعي في العبادة يمنح الفرد شعوراً بالاندماج مع الأمة الكبيرة المنتشرة في كل بقاع الأرض.
- ٤- إنَّ الإسلام يكافح الإنعزال الذاتي عب حثَّ

بأنَّ سلوكه الأخلاقي غير مقبول اجتماعياً من قبل الفئة المسيطرة على النظام السياسي والأخلاقي والإقتصادي. وهي خطوة أولية نحو الإغتراب الاجتماعي. ولكن الإنعزال والغربة الاجتماعية إنما هي تعبير عن شعور الفرد المنعزل عن إنسلاخه عن بقية الأفراد الذين يتعامل معهم. فالإغتراب الاجتماعي هو محاولة داخلية لرفض المجرى العام للمجتمع من قبل المغترب، والإحساس العميق بأنَّه خلق في زمان ومكان لا يلائم بيئته الإنسانية ومحيطه الاجتماعي. بمعنى أنَّ الفرد المنعزل اجتماعياً يعلم في قرارة نفسه بأنَّ المجتمع لا يكافئه مكافأة نفسية أو فكرية منصفة تساعده على الاندماج مع الآخرين، وتسهلَّ له السير مع السفينة الاجتماعية في عباب الزمن. وبطبيعة الحال فإنَّ الإنعزال الاجتماعي يعكس الحالة العقلية للفرد في تفسير أحداث الحياة الإنسانية. فهذا الإنعزال الاجتماعي ينشأ على صعيدين: الأول: الصعيد الذاتي، والثاني: الصعيد الموضوعي. فالإنعزال الذاتي يعكس الشعور الداخلي الذي يصيب الفرد بالغربة والإنسلاخ عن الحالة الاجتماعية، بل هو ثمرة من ثمرات إختلاف نظرة الفرد ورأيه وسلوكه المنعزل عن بقية الأفراد في المجتمع. أما الإنعزال الموضوعي فهو يعكس الإنعزال الذي يحصل نتيجة الظروف الاجتماعية الجديدة التي يولدها التطور الصناعي. ومن أوائل من ناقش آثار هذا الإنعزال الاجتماعي "كارل ماركس" في نقده للنظام الرأسمالي ودور رأس المال ومستثمره في سلب إنسانية الإنسان في الحياة الصناعية والحقوقية والاجتماعية. ولابدَّ لنا من ملاحظة الفرق - بدقة - بين الإنعزال الاجتماعي الذاتي والإنعزال الاجتماعي الموضوعي. فالإنعزال الاجتماعي الذاتي ما هو إلا إنسلاخ يولده الفرد في نفسه بسبب عدم تطابق عقيدته الأساسية مع عقيدة المجتمع. ولهذا الإنعزال الاجتماعي مصاديق عديدة في التاريخ الإنساني، منها إنسلاخ الأنبياء (ع) قبل البعثة

أكثر العقوبات قسوة ووحشية على الإنسان، لأنَّ الفرد بحاجة دائمية إلى الإتصال بالآخرين حتى يستطيع أن يحافظ على إحساسه المستمر بالحقائق الخارجية ويحافظ على الشعور بهويته الذاتية. ولذلك فإنَّ الأفراد الذين يعاقبون بالسجن الإنفرادي لفترة طويلة يفقدون إحساسهم بالوقت مع أنَّهم يحسبون الأيام عن طريق خطوط يرسمونها على جدران السجون. وعندما يفقدون إحساسهم بالوقت، فإنَّ الشك يبدأ بالسرير إلى كل شيء في حياتهم، فلا يستطيعون - لاحقاً - الإطمئنان إلى الحقائق الخارجية التي إختبروها في حياتهم العامة سابقاً. ولكن الإنعزال والإغتراب الاجتماعية لا يكون دائماً نتيجة سجن إنفرادي أو عزل قسري، بل قد يتولد من ضعف الفرد أمام المشاكل الاجتماعية، أو فقدان الفرد إحساسه بمعنى واضح للحياة الاجتماعية، أو قد يتولد من إنيهار الجانب الأخلاقي الاجتماعي للفرد أيضاً. وذلك الضعف أمام المشاكل الاجتماعية نلمس تأثيراته النفسية في المجتمع الصناعي اليوم. فالضعف الإنساني تجاه المشاكل الاجتماعية التي جلبها التصنيع الحديث في الدول الصناعية، وإنعدام العدالة الاجتماعية، وإحلال الأواصر العائلية والعشائرية أدى إلى إحساس الفرد بغربته وإنفصاله عن المجتمع الكبير الذي يعيش فيه؛ لأنَّ المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الفرد دون حلول واضحة تدفع الإنسان الغربي نحو الإدمان على المخدرات والكحول، وتجعله يسبح في بحر من الإضطرابات النفسية والعقلية. أما فقدان الفرد لشعوره لمعنى الحياة الإنسانية وأهداف الخلق والوجود، فإنَّه يساعد أيضاً على الإغتراب الاجتماعي، بإعتبار أنَّ قلق الفرد وعدم إستقراره على عقيدة معينة يطمئن إليها لتفسير معاني الخلق والحياة والإنسان تعطي ذلك الفرد صورة مربعة قائمة عن الحياة ودور الإنسان فيها. وكذلك الحال إذا واجه الفرد غياباً للأعراف والقيم الأخلاقية التي آمن بها، فإنَّه سيشتعر



وليس هناك تمييز شرعي من أي لون تجاه المسلمين؛ لأن الدين ضمن منهجه الأخلاقي حثاً على احترام الكبير وضمن معيشتهم على الصعيد العائلي على الأقل، أو على صعيد الدولة. ولما كانت العلاقات العائلية في الإسلام متماسكة كان المسن أكثر الأفراد ثراءً في الخبرة والتعبد والعلاقات الاجتماعية، وأكثرهم بعداً عن الإنعزال الاجتماعي.

وبكلمة، فإن الإطار الاجتماعي لأعمال ومناسك الحج، تدفع الأفراد نحو التماسك والتعاون الذي يتحول لاحقاً إلى لبنة من لبنات بناء الدولة الإسلامية العالمية. ولأن النشاطات الشرعية للحج الإسلامي إنما تساعد جميع الأفراد على كسر طوق الإنعزال الاجتماعي والغربة الإنسانية التي نلاحظ مساوئها النفسية في عالم اليوم.

المصدر: كتاب مباني النظرية الاجتماعية في الإسلام

إلى أقليات عرقية مختلفة عن العرق العام المسيطر على المجتمع. وبسبب الحرمان الاقتصادي والاجتماعي لهؤلاء وعدم توفر فرص متساوية لأبنائهم، فإن ذلك يجعلهم يعيشون في غربة شديدة. بينما تساهم أعمال الحج في شد وتماسك الأفراد على اختلاف أعراقهم البشرية وألوانهم ولغاتهم. ٧- يعتبر التقدم في السن أحد أسباب الإنعزال الاجتماعي في المجتمعات الصناعية الغربية بسبب عدم قدرة المسن على الإنتاج مما تسبب له مشاكل اقتصادية جمة. وإذا أضفنا إلى ذلك مشاكل انحلال الروابط الأسرية بسبب التصنيع وتغيير الخارطة السكانية، يتضح لنا أن من أكثر الأمراض النفسية ظلاماً وتأثيراً على الفرد هو الإنعزال الاجتماعي للمسنين. إلا أن الإستطاعة الشرعية لأداء الحج غالباً ما تحصل عندما يتوسط عمر الإنسان ويجمع مالا من عرق جبينه ليحقق شروط الإستطاعة الشرعية.

الفرد على الإتصال بالله سبحانه وتعالى. ويكافح الإنعزال الموضوعي عبر تطبيق الأحكام الشرعية على المجتمع. وبذلك تسد الشريعة الطريق على الإنعزال والإغتراب الاجتماعي بشكل مُحكم. ولأنك أن الإجتهد في الشريعة يعطي الفقيه فرصة واسعة لمعالجة المشاكل الاجتماعية التي تولدها الإكتشافات والإختراعات الحديثة وما يلحقها من تصنيع، بما يتناسب مع حاجات الفرد والنظام الاجتماعي، أخذاً بنظر الإعتبار الضرورات الاجتماعية التي تدعو إلى التقدم التقني والتصنيع الحديث.

٥- العدالة الاجتماعية في الإسلام والمساعدات المتبادلة بين الأفراد أنفسهم، وبين الأفراد والدولة، وصلة الرحم، كلها تقلل من فرص الإنعزال الاجتماعي. والحج يعكس جانباً من جوانب العدالة الاجتماعية الكلية في الإسلام.

٦- إن من أهم أسباب الإنعزال الاجتماعي بين أفراد الأقليات في الدول الصناعية في أوروبا وأمريكا هو إنتماء هؤلاء الأفراد





الحج في نهج البلاغة

■ تأليف الشيخ فارس حسون

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» ([١])، تدل الآية على وجوب الحج مع توفر الشرائط المطلوبة، ثم بعد حصول الشرائط لابد وأن يكون العمل خالصاً لله تعالى لا يشوبه شيء، كما قال تعالى: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ» ([٢])، ثم تبين سائر الآيات وكذلك الروايات كيفية أداء الحج ومناسكه.

ولصعوبة الحج وما يكتنفه من مشاق ومصاعب، افترضه الله تعالى مرة واحدة في العمر، وجعل في تكراره الفضل الكثير، حتى قال أمير المؤمنين (ع): «الحج جهاد كل ضعيف» ([٣])، وقال (ع): «إن أفضل ما توصل به المتوكلون إلى الله سبحانه...

حج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب» ([٤]) وفي نص آخر يقول (ع): «الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا» ([٥]).

ثم أن أمير المؤمنين (ع) يشرح بعض مصاعب الحج، وأن الله تعالى اختبر الأولين والآخرين به ويقول: «ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم (ع) إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لاتضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله

للناس قياماً، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل نثائق الدنيا مدرأ، وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنة ورمال دمة وعيون وشلة وقرى منقطعة، لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف. ثم أمر آدم (ع) وولده



أن يثنوا أن عطا فهم نحوه فصار مثابةً لمنتجع أسفارهم، وغاية لملقى رحالهم تهوي إليه ثمار الأفتدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزوا مناكبهم ذللاً يهللون لله حوله ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له، قد نبذوا السرايل وراء ظهورهم وشوهوا بإعفاء الشّعور محاسن

خلقهم، ابتلاءً عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته ووصلةً إلى جنته.

ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار وسهل وقرار، جم الأشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى، بين برة سمراء وروضة خضراء وأرياف محدقة وعراض مغدقة ورياض ناضرة وطرق عامرة، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنقى معتلج الرّيب من الناس، ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشّدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهد وبيتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله وأسباباً ذللاً لعفوه» ([٦]).

يشير أمير المؤمنين (ع) في هذا النص الشريف إلى عدّة نقاط نوجها فيما يلي: ١- أن بيت الله الحرام كان موجوداً منذ زمن آدم (ع)، وجعله الله تعالى موضعاً لاختبار عباده، يدل عليه قوله تعالى عن لسان إبراهيم (ع): «ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم» ([٧])،



وعن الإمام الصادق (ع) أيضاً في ثواب من حج أربع حجج: «من حج أربع حجج لم تصبه ضغطة القبر أبداً، وإذا مات صور الله الحج الذي حج في صورة حسنة من أحسن ما يكون من الصور بين عينيه تصلي في جوف قبره حتى يبعثه الله من قبره، ويكون ثواب تلك الصلاة له، واعلم أن صلاة من تلك الصلاة تعدل ألف ركعة من صلاة الآدميين» ([١٧]).

٥- أن الحكمة في جعل البيت مكتنفاً بهذه الشدائد والمصاعب، اختبار العباد وإثابة المجيب، زائداً لإخراج التكبر من القلوب بالتعبد لأداء المناسك الشاقة من الإحرام والالتزام بتروكاته إلى السعي والتقشير وأيام عرفات ومنى وغيرها من المناسك، وإلا فإن الله تعالى كان قادراً على رفع جميع هذه المشاق بأن يجعل البيت في أفضل أماكن الأرض ماءً وكلاءاً.

نعم هذا هو الحج، وهذه ثماره ونتائجه، ففي الدنيا الرزق والشوق، وفي القبر الأمن والأمان، وفي الآخرة المغفرة والرضوان.

([١]) آل عمران: ٩٧.

([٢]) البقرة: ١٩٦.

([٣]) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٢٩.

([٤]) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٩.

([٥]) نهج البلاغة، الكتاب: ٤٧.

([٦]) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

([٧]) إبراهيم: ٣٧.

([٨]) آل عمران: ٩٦.

([٩]) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣: ١٦١.

([١٠]) الميزان للطباطبائي ٣: ٣٦١.

([١١]) المائدة: ٩٧.

([١٢]) إبراهيم: ٣٧.

([١٣]) إبراهيم: ٣٧.

([١٤]) نهج البلاغة: الخطبة: ١.

([١٥]) أمالي الطوسي: ٦٦٨.

([١٦]) الخصال للشيخ الصدوق: ٥٦٦.

([١٧]) الخصال للشيخ الصدوق: ٢١٥.

٣- من خصائص وأسرار البيت - رغم ما يكتنفه من صعوبات طبيعية مرت الإشارة إليها وصعوبات المناسك أيضاً - أنه «تهوي إليه ثمار الأئمة» كما ورد في دعاء إبراهيم (ع): «فاجعل أئمة من الناس تهوي إليهم» ([١٣]).

وقد ذكر أمير المؤمنين (ع) هذا الشوق في تمثيل رائع حيث قال: «ويألهون إليه ولوه الحمام» ([١٤]) أي يشتد شوقهم إليه حتى تكاد تذهب عقولهم من شدة الاشتياق، كاشتياق الحمام إلى وكرها.

٤- «جعله الله سبباً لرحمته ووصلةً إلى جنته» يشير (ع) إلى أن الغفران والرحمة الإلهية من ثمار الحج، وهذا ما ورد التأكيد

حيث تدل على وجود البيت آنذاك، وقوله تعالى أيضاً: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً» ([٨])، وهناك شواهد أخرى وردت في كتب السيرة والتاريخ تؤيد هذا ([٩]).

ثم أن هذا البيت كان معظماً ومحترماً عند جميع الأمم، قال العلامة الطباطبائي في تفسيره: «كانت الكعبة مقدسة معظمة عند الأمم المختلفة، فكانت الهنود يعظمونها ويقولون: أن روح «سيفا» وهو الاقنوم الثالث عندهم حلت في الحجر الأسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز. وكانت الصابئة من الفرس والكلدانيين يعبدونها أحد البيوت السبعة المعظمة، وربما قيل أنه بيت زحل لقدم عهده وطول بقائه.

وكانت الفرس يحترمون الكعبة أيضاً، زاعمين أن روح هرمز حلت فيها، وربما حجوا إليها زائرين، وكانت اليهود يعظمونها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم، وكان بها صور وتماثيل منها تمثال إبراهيم وإسماعيل وبأيديهما الأزام، ومنها صورتا العذراء والمسيح، ويشهد ذلك على تعظيم النصارى لأمرها أيضاً كاليهود.

وكانت العرب أيضاً تعظمها كل التعظيم وتعدّها بيتاً لله تعالى، وكانوا يحجّون إليها من كل جهة، وهم يعدّون البيت بناء لإبراهيم، والحج من دينه الباقي بينهم بالتوارث» ([١٠]).

وهذا مفاد قوله تعالى: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس» ([١١]).

٢- أن الله تعالى تميماً للاختبار والابتلاء جعل البيت في أوعر وأصعب بقاع الأرض، فهي غير صالحة للزرع وغير صالحة أيضاً لحياة الحيوان فيها، فلا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف، وهذا مفاد قوله تعالى عن لسان إبراهيم (ع): «ربنا إنني أسكنت من ذريتني بوادٍ غير ذي زرع» ([١٢]).



عليه في روايات كثيرة، فعن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «عليكم بحج هذا البيت فأدمنوه، فإن في إيمانكم الحج دفع مكاره الدنيا عنكم، وأحوال يوم القيامة» ([١٥]). وعن الإمام السجاد (ع) أنه قال: «حق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك» ([١٦]).



الحج الإبراهيمي ودوره في الحضارة الإسلامية الحديثة

من ناحية أخرى، إن للحج مكانة خاصة ومتميزة في الإسلام. فالحج من النوز والقيم الالهية الخالدة، ومركز المعرفة الإسلامية وفريضة استثنائية تحتوي على مجموعة من القيم الإسلامية التي لا يمكن مشاهدة جميعها معا في أي واجب آخر. وفي اثناء ذلك، يمكن للموقف الحضاري من الحج

أنه لايزال لم يتم التطرق الى العديد من أبعاد وجوانب هذا الموضوع وهناك مجال للقيام بعدد من الأبحاث في هذا المجال. ومنها العوامل الدخيلة والمساهمة في إنشاء واتساع وتطوير الحضارة الإسلامية الحديثة والتي تستحق بلا شك الكثير من الاهتمام والدقة.

ان مصطلح الحضارة الإسلامية الحديثة هو مصطلح جديد تم التطرق اليه في العقود الأخيرة ويعتبر من المواضيع المركزية في المنظومة الفكرية لسماحة آية الله الخامنئي. وبما أنه قد تم تأليف عدد من الكتب حول ماهية الحضارة الإسلامية الحديثة وطبيعتها وأبعادها ومكوناتها وخصائصها، إلا



لكن الإتجاه الثاني يعتبر كلا من الأبعاد المادية وغير المادية ضرورية للحضارة. ومن وجهة النظر هذه، فإن الأساس الرئيسي للحضارة يقوم على عناصر غير مادية، وخاصة الدين والأخلاق والثقافة، والتطورات المادية هي مظاهر الحضارة. ويسود هذا الإتجاه بين المفكرين المسلمين. وبهذه الطريقة يمكن القول أن الحضارة هي مجال ومنصة للبشرية للتقدم في المجالين المادي والمعنوي وتحقيق أهدافها الإلهية المنشودة (مهدي نجاد، ٢٠٢٢، الصفحة ١٨١-١٨٢).

مفهوم الحضارة الإسلامية الحديثة

إن فكرة الحضارة الإسلامية الحديثة، التي اقترحها قائد الثورة المعظم، تستمد جذورها في الحضارة الإسلامية العريقة السابقة وهي من جهة أخرى، تتعارض بشل ما مع الحضارة الجديدة للغرب. ويعتبر آية الله الخامنئي الحضارة الإسلامية السابقة مصدر فخر للمسلمين وإن هنا إمكانية لظهور مثل هذه الحضارة في العصر الحالي أكثر مما كانت عليه في الماضي (قائد الثورة المعظم ١٣٩٥/٥/١١ هجري- شمسي). (ان الأمة الإسلامية تتمكن من خلال العمل الجهادي الدؤوب أن تصمم وترسي أسس حضارة إسلامية مناسبة لهذا العصر وتحققها-على ارض الواقع - وتقدمها للبشرية (قائد الثورة المعظم ١٣٩٤/١٠/٨ ه-ش). وبناءً على هذا الرأي، فإن مكانة المناسك والطقوس الدينية الشاملة كالحج ستكون بارزة جداً في تحقيق هذه الحضارة.

أن يظهر وجهًا ومظهرًا جديدًا له في أعين المسلمين ويضاعف دوره وتأثيره على الأمة الإسلامية. وفيما يتعلق بتعريف الحضارة، بصورة عامة يمكن الإشارة الى نهجين او اتجاهين: اتجاه مادي و اتجاه ذات بعدين. فالإتجاه المادي غالبا مايعتبر الحضارة ظاهرة مادية ويسلط الضوء على صورة موضوعية لها. ومن زاوية وجهة النظر هذه، تعد الحضارة في الأساس ظاهرة موضوعية تتجلى في مظاهر مثل الفن والعمارة والتقنيات والصناعات والمنظمات الإدارية والسياسية.

يمكن اعتبار الشمولية والتناسق المعنوي والمادي أهم سمة من سمات الحضارة الإسلامية الحديثة . طبعاً ان ازدواجية أبعاد الحضارة الإسلامية الحديثة لا يعني عدم وجود أولوية بينهما، وذلك لأن المعنوية هي المحور السائد في هذه الحضارة. وفي الحضارة الإسلامية الحديثة، هناك تقدم وتطور مادي، لكنه تقدم وتطور ذات اتجاه معنوي يسعى لتحقيق الأهداف المعنوية والروحية السامية، ولايهدف فقط الى تحقيق الرفاه والإزدهار مادي والمتعة واللذائذ المادية التي لاحدود لها.

من ناحية أخرى، فإن الحج هو ينبوع المتدفق للمعنوية الذي يجري فضله باستمرار على العالم الإسلامي والمسلمين حتى يستفيد منه كل فرد وكل جماعة بقدر طاقتهم وقدرتهم. وعندما يجذب الناس إلى مركز أداء واجب الحج الإلهي، فإنهم يتكون نطاق الحياة المادية ويدخلون كاملاً في أجواء روحية ومعنوية. وفي هذه الأجواء الروحية والمعنوية، يطهر الإنسان نفسه بشكل حقيقي ويعود. والحج يبدأ بكلمة "لبيك" أي الاستجابة للنداء الإلهي و. جميع شعائر وأعمال الحج، مثل حالة الإحرام، ولباس الإحرام، والطواف، والسعي، والصلاة، والوقوفين، كل واحدة منها تجذب بطريقة ما ركنًا من كياننا إلى المعنوية وإلى الله سبحانه وتعالى ((قائد الثورة المعظم ١٣٧٤/١/١٦ ه-ش).

٢. توحيد الأمة في الحج. خطوة أساسية في

تأسيس الحضارة الإسلامية الحديثة

ان الحضارة في الواقع هي نتاج جهود جماعية ومتماسكة لمجموعة من الناس. لذلك، فإن بناء الحضارة من المستحيل ان يتحقق دون التلاحم والتضامن بين عناصرها البشرية. ومن ضروريات تحقيق الحضارة الإسلامية الجديدة في العالم، في الخطوة الأولى، هو خلق صلة ورابطة ووحدة بين مكوناتها، أي المسلمين. ويمكن تحقيق مثل

آثار الحج على الحضارة الإسلامية الحديثة

نظراً لأهمية الحج في الإسلام، يتبادر الى اذهاننا هذا السؤال: "في أي من المجالات يمكن أن يؤثر الحج على الحضارة الإسلامية الحديثة؟". وفيما يلي نشير الى أهم هذه المجالات.

١. الحج مظهر من مظاهر الشمولية والتناسق المعنوي والمادي



٣. تحديد الهوية الحضارية وفرقها عن بقية الحضارات في الحج

إن تحديد هوية المرء هو أمر ذو اتجاهين: تحديد الذات وتحديد الآخر والاختلاف بينهما. وهذا الأمر يصدق أيضًا على موضوع مناقشة الحضارة، وجزء من الهوية الحضارية هو تحديد الآخر الحضاري. ومن خصائص الحج التي تعتبر عاملاً من عوامل وحدة المسلمين وتحدد بطريقة ما الحدود ما بين المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي، هي قضية البراءة من العدو، يعني الشرك والمشركون ومحاربتهم. والواقع أن الحضارة الإسلامية بطبيعتها الذاتية لا تتلائم مع الحضارة القائمة على الشرك بالله.

طبعاً لا يمكن الحديث عن الحضارة الإسلامية بمعناها الحقيقي، إذا لم يكن هناك اعتقاد بالتمييز بينها وبين الحضارة التي تعارض أساساً الدين والمعنويات والإسلام بشكل خاص. والتفسير الحضاري للبراءة من المشركون يعني التمييز بين الحضارة الإسلامية والحضارة غير الإسلامية وإعلان البراءة منها.

والحج الإبراهيمي والمحمدي والعلوي والحسيني، هو الحج المفعم بالعتيدة بالله والخضوع لقدرته وسلطانه، ورفض سلطة الطغاة والظالمين. وهذا الكلام يعني أن الحج بدون البراءة من المشركون ليس حجاً حقيقياً وأن النبي وأهل البيت (ع) سوف يرفضون مثل هذا الحج ولن يوافقوا عليه (مهدي نجاد، ص ١٩٢-١٩٩، ١٤٠١ هجري-شمسي).

المصدر

- بيانات قائد الثورة المعظم:

<https://www.farsi.khamenei.ir>

مهدي نجاد، السيد رضا، ربيع وصيف عام ١٤٠١ هجري-شمسي، ٢٠٢٢م

١. "تحليل أوجه الترابط والقواسم المشتركة بين الحج والحضارة الإسلامية الحديثة في فكر آية الله الخامنئي (دام ظله)" مجلة أبحاث خطاب الحضارة الإسلامية، السنة الثانية، العدد الثالث، ص ١٧٧-٢٠٢



والتضامن بلباس موحد، وعمل واحد، وكلام واحد وهدف واحد.

إن الحج، بالاعتماد على العناصر المشتركة للهوية الإسلامية مثل إله واحد، وقبله واحدة مشتركة، ونبي واحد، وكتاب واحد، والممارسة العملية للحياة الاجتماعية المشتركة في إطار زمني محدد، إلى جانب أداء نفس الأعمال والمناسك، يعتبر أفضل منطلق لتعزيز وحدة المجتمع الإسلامي، وتضعيف وإزالة الاختلافات الدينية والثقافية والسياسية، ويمكن أن تصبح هذه الوحدة الاجتماعية أساساً لخلق الحضارة الإسلامية. في الواقع، أن تعزيز الهوية الدينية للمسلمين على شكل الأمة الإسلامية يمكن أن يؤدي إلى خلق هوية دينية مشتركة، وفي الخطوة التالية، أن يجسد الحضارة الإسلامية الجديدة على أرض الواقع.

هذا التماسك والتلاحم والتضامن الشامل بطرق مختلفة.

ويعتبر الحج من أهم المنطلقات الفريدة لخلق التلاحم والتضامن الاجتماعي بين الأمة الإسلامية. وهذه الصلة والرابطة تتمكن من أن تبني مجتمعاً إسلامياً كبيراً وموحداً على شكل الأمة الإسلامية، والذي سيكون أساساً لتحقيق الحضارة الإسلامية الجديدة. والحج فرصة فريدة لحل الخلافات والاستنباطات والأفكار الخاطئة وخلق قدر أكبر من التفاهم والتعارف بين المسلمين، فالاعتماد على المبادئ والمحاور المشتركة. وتضامن المجتمع الإسلامي العظيم هو أحد الأهداف الاجتماعية للإسلام، التي يتم تعلمها بموضوعية أثناء مناسك الحج. حيث يبدو كأنهم جميعاً يمارسون ويختبرون الوحدة



التعليم والتعلم في الحج الإبراهيمي

■ مجتبى حيدري

الشخصيات الشيعية عند طوافه حول الكعبة، نماذج أخرى في هذا المجال. من هنا، يعتبر الحج فرصة ينبغي انتهازها والتفكير بها واخذها بنظر الاعتبار ليتعرف كل واحد من حجاج في بيت الله الحرام على التعليم الدينية على نطاق أكبر وأوسع. وفيما يتعلق بموضوع التعليم الجماعي، فإن أجواء الحج تمتاز بحالة خاصة يتعلم خلالها الحجاج أمور مهمة كثيرة وبدورها تنتقل منهم إلى جميع المسلمين. فيما يلي نشير إلى تأثير الحج الإبراهيمي في تعليم المجتمع الإسلامي.

١. الحج وتعليم التعليم الدينية

إن الحج أداة فعالة ومنصة مناسبة لتعليم ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة والدناميكية وتعاليمها في العالم الإسلامي. ويشتمل الحج الذي يتم إجراؤه عبر التجمع الكبير للمسلمين في أرض

استغلال الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) لأيام الحج من أجل توعية الناس على صعيد تبليغ ونشر حقيقة الدين الإسلامي وتعليم التعليم الإسلامية. وخلال الحصار الاقتصادي الذي استمر لمدة ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، كانت أيام الحج الفرصة الوحيدة لتبليغ ونشر الإسلام. وقد خاطب الرسول صلى الله عليه واله وسلم الناس في حج الوداع- بعد طرقه لمواضيع مختلفة- وقال: (فليلغ الحاضر الغائب) (الطبرسي، الاحتجاج، المجلد ١، ص ٦٢). كما تعتبر مناظرات الإمام الصادق (ع) العديدة مع أناس مثل زنديق المصري (الكليني، الكافي، المجلد ١، ص ٧٢). وابن أبي العوجاء (الكليني، الكافي، ج ١، ص ٧٤)، وسفيان الثوري (الكليني، الكافي، المجلد ٦، ص ٤٤٣) في الحج؛ وكذلك حوار ونصيحة الإمام الصادق (ع) إلى أحد

يحظى موضوع التعليم والتعلم بمكانة خاصة في الإسلام. في الأساس، والواقع أن المجتمع بدونهما، سيبقى يراوح في مكانه ويتوقف عن التقدم والمضي في مسير التطور والازدهار والتكامل. ويمكن أن يكون التعليم والتعلم على شكل فردي أو جماعي. وآليات وسبل التعليم والتعلم المختلفة تحدد بدورها أيضاً ما إذا كان التعلم والتعليم فردياً أم جماعياً. ويعتبر الحج من آليات وسبل التعليم والتعلم في الإسلام. حيث يتعلم الناس خلال أداء مناسكها أشياء وأمر مهمة، أمور تحقق السعادة والرفاهية للمجتمع الإسلامي ومن المزايا والخصائص المهمة للحج في هذا المجال هو توفر إمكانية التعليم والتدريب الفردي والجماعي معاً. وفيما يتعلق بالتعليم الفردي، فقد ذكر التاريخ العديد من النماذج التي تدل على





(المحمدي، باثولوجيا الحج، ٢٠١٣، ص ٩٣).

٣. الحج وزيادة الوعي الإسلامي

ومن المعارف التي يجب أن تمتلكها الأمة الإسلامية معرفة أوضاع المسلمين وحيل الأعداء وخدعهم وطرق التعامل مع الأعداء وسبل مواجهتهم الى جانب معرفة سبل تعزيز الوحدة بين المسلمين. وقد استغل أهل البيت (ع) الحج في المناسبات الخاصة للتعبير عن آرائهم وتعزيز الوعي بين المجتمع. قبل وفاة معاوية بسنتين ألقى الإمام الحسين (ع) خطبة في منى وبحضور الأنصار وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وبين لهم طبيعة معاوية وأعماله (ابن شعبة، تحف). العقل ص ٢٣٧). كما يقول عمرو بن أبي المقدم (أحد أصحاب الإمام الصادق ع) أنه يوم عرفه رأيته يقول بصوت مرتفع:

يا أيها الناس كان رسول الله (ص) قائداً وإماماً. ثم علي بن أبي طالب (ع)، ثم الحسن (ع)، ثم الحسين (ع)، ثم علي بن الحسين (ع)، ثم

مكة المكرمة في أيام معدودة معينة، على بعض أهم التعاليم الاجتماعية للإسلام، مثل المودة والأخوة الإسلامية مع بعضهم البعض (التولي)، والبراءة من المشركين وأعداء الإسلام (التبري)، ووحدة المسلمين وتماسكهم، وتجاهل الاختلافات، والمساواة بين جميع المسلمين من كل حذب وصوب وممن أي عرق وجنس ... والحج فرصة مناسبة جدا لتبليغ ونشر التعاليم الإسلامية. ولهذا كان أهل البيت (عليهم السلام) يستغلون هذه الفرصة أيضاً. وقد ذكر التاريخ العديد من النماذج التي تدل على استغلال الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة المعصومين (عليهم السلام) لأيام الحج من أجل توعية الناس على صعيد تبليغ ونشر حقيقة الدين الإسلامي وتعليم التعاليم الإسلامية. وفي بداية رسالته، استغل الرسول صلى الله عليه وسلم مراسم الحج لنشر الدين. وكذلك، في زمن الاستبداد، عندما كان الخلفاء والسلطين لا يسمحون للمسلمين بنشر التعاليم والأحكام الدينية، تمكن الناس من حل مشاكلهم من خلال استغلال فرصة الحج كما تمكنوا من خلال الاتصال بالأئمة المعصومين (ع) وعلماء الدين الكبار، ان يسلطوا الضوء على أحكام الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وواله وسلم. (مكارم الشيرازي التفسير النموذجي) (تفسير نمونه) ج ١٤ ص ٨٠).

٢. الحج وتعزيز القيم الروحية والمعنوية

في رحلة الحج، هناك احتمال أن يقوم الجمهور، تحت تأثير الجو الروحي للحج، بتعديل معتقداتهم بناءً على القيم والأعراف الدينية (المحمدي، علم أمراض الحج، ص ٣٣٤-٣٣٥). قيم مثل ضرورة مراعاة الحدود الإلهية، وعبادة الله وخدمته، وكره الدنيا وروعتها، والأخوة الدينية، والعدالة، والمساواة، والصبر والتسامح في المشاكل، وضرورة مراعاة الأخلاق الإسلامية والعديد من التعاليم والقيم الإسلامية الأخرى. والحج في الواقع، يعتبر وسيلة وأداة يستخدمها الحجاج للتعرف على المعرفة والقيم الدينية، وكذلك لنقل هذه المعرفة والقيم للآخرين

محمد بن علي (ع)، ثم أنا. وكرروا هذه الجمل ثلاث مرات في أربع اتجاهات (أمامي وخلفي، يمين ويسار) (كيليني، الكافي، ج ٤، ص ٤٦٦). والحج هو مجال التوعية العامة بآلام المسلمين وقدراتهم ويوفر الأساس للمشاركة العامة والاجتماعية للناس في حل المشكلات. ويتيح فرصة التعرف على أوضاع الأمم ومؤامرات وخططات الأعداء. فمعرفة النفس ومعرفة الأمة الإسلامية وقدراتها العظيمة ومعرفة الأعداء وخططهم ومخططاتهم من الأمور التي تتحقق في الحج.

٤. الحج والترويج الثقافي للعالم الإسلامي

الحج هو تجمع عالمي للإسلام، تشمل فوائده مواجهة القيم الإنسانية الناتجة عن اللقاءات الأخوية مع شعوب ودول أخرى على كوكب الأرض؛ وهذه من فوائد الحج التي ذكرها الله تعالى على هذا النحو: "ليشهدوا منافع لهم (الحج: ٢٨)" (حكيمي وغيره، الحياة ج ١ ص ٤٥٧). أيام الحج هي أفضل وقت لتفاعل الأفكار والتبادل الثقافي بين المسلمين. إن وجود المسلمين من جميع أنحاء العالم في مكان معين، ولقاءهم وتواصلهم مع بعضهم البعض، يوفر الأساس لنقل الثقافات بينهم. بالإضافة إلى ذلك، أثناء الحج، يمكن لمفكري العالم الإسلامي أن يجتمعوا حول بعضهم بعضاً. واليوم، في العديد من رحلات الحج، يتعرف الحجاج على المجموعات العلمية والدينية من دول أخرى في العالم، وفي بعض الحالات يستمر هذا التعارف حتى بعد الانتهاء من رحلة الحج (صالح، استعراض لمختلف وظائف مناسك الحج) ص ١١٧).

إن التبادل الثقافي هو عملية طبيعية، وتتم بارتياح بين الأطراف المختلفة بسبب مجاورة البلدان لبعضها، وإن زيارة الشعوب لبلدان بعضها البعض، ودراسة عادات وتقاليد وثقافات بعضها البعض، تجعل كل أمة تتعرف على نقاط قوتها ونقاط ضعفها الثقافية (Zand، Vakili، الأنثروبولوجيا الثقافية، ١٣٨٣، ص ٧٤). وهذا التواصل والتبادل الثقافي الذي يحدث في

ان الحج أداة فعالة ومنصة مناسبة لتعليم ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة والديناميكية وتعاليمها في العالم الإسلامي. ويشتمل الحج الذي يتم إجراؤه عبر التجمع الكبير للمسلمين في أرض مكة المكرمة في أيام معدودة معينة، على بعض أهم التعاليم الاجتماعية للإسلام، مثل المودة والأخوة الإسلامية مع بعضهم البعض (التولي)، والبراءة من المشركين وأعداء الإسلام (التبري)، ووحدة المسلمين وتماسكهم، وتجاهل الاختلافات، والمساواة بين جميع المسلمين من كل حذب وصوب وممن أي عرق وجنس ...



الاجتماع الكبير والعظيم للحج يؤدي مما لاشك فيه الى أسباب تعزيز وإثراء ثقافة المجتمعات الإسلامية في جميع انحاء العالم.

٥. تصحيح الانحرافات الفكرية والعقائدية

في المجتمع الإسلامي وتقريب وجهات النظر

الحج ملتقى للمسلمين من جميع الفرق والمذاهب ومن جميع الأديان والمعتقدات ويستطيع الحجاج في هذا الاجتماع العظيم، التعرف على صحة أو عدم صحة وجهات نظرهم وآراء الآخرين من خلال مراقبة تصرفات الآخرين والتحدث معهم. كما أن وجود الحجاج من جميع المذاهب الإسلامية في مكان واحد يقربهم من بعضهم البعض ويزيد من حبهم وعاطفتهم تجاه بعضهم البعض. بالإضافة إلى ذلك، إن الحج هو أيضاً المكان الذي يحضر فيه علماء الإسلام. وبالتالي يتيح هذا المكان الفرصة للمفكرين المسلمين لمناقشة وجهات النظر المختلفة بين المذاهب الإسلامية والتعرف على حقائق الأمور ومعرفة الصحيح من الخطأ، وهذا ما يؤدي بدوره الى الحد من الاختلافات الفكرية والأيدولوجية بين المسلمين ويزيد من تلاحمهم.

دور الحج في الوحدة الإسلامية

الحج احد العبادات الاسلامية المليئة بالاسرار والتي تحظى بأبعاد مختلفة. وكل من أبعادها تؤدي دوراً أساسياً في تنمية الفرد والمجتمع، وفي الوحدة والتماسك الإسلامي، وفي خلق الهوية الحضارية والثقة بالنفس. ومن الأبعاد والمظاهر المهمة للحج هو بعده الموحد للأمة الإسلامية، والذي سنشير إليه في هذا المقال.

المشتركة، والتدابير التي تؤدي نتائجها وتداعياتها إلى تحقيق وحدة الأمة الإسلامية.

دور الحج في توحيد الأمة

يوفر اجتماع المسلمين في الحج الفرصة لتحقيق الفوائد المادية والروحية (ليشهدوا منافع لهم). فمن أهم فوائد الحج هو نقل الأفكار والتفاعل المثمر بين أتباع المذاهب الإسلامية. والحج رمز لتجسيد وحدة المسلمين وهو فريضة تعزز روح الأخوة والتضامن بين المسلمين. وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته في وادي منى في حجة الوداع هذه الأمور وقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ وَ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ مَالٌ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِبِّ نَفْسٍ مِنْهُ. ... أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَ إِنَّ آبَاكُمْ وَاحِدٌ كُلُّكُمْ لآدَمَ وَ آدَمُ مِنْ تُرَابٍ- إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ وَ لَيْسَ

والمذاهب الموجودة وان يعمل الجميع وفق هذا الدين او المذهب؟ أم أن المقصود هو التركيز على القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية وتجنب اثار الاختلافات؟ والمقصود من الوحدة هو التجمع تحت راية الكعبة المشرفة وهي البيت الذي بني لأول مرة بين البشر لعبادة الإله الواحد كآمة واحدة وان يجتمعوا بعزم و ارادة حول بعضهم البعض وان يعملوا بشكل يبشر بتكوين أمة إسلامية واحدة. ويذكر القرآن الكريم المسلمين في هذا الصدد. ويقول: (وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (سورة المؤمنون: الآية ٥٢)..

من هنا فإن الوحدة الإسلامية، من وجهة نظر المفهوم، ومن حيث أسلوبها وأدواتها، تشمل جميع عمليات صنع القرار، وصنع السياسات، واعتماد الأساليب الموحدة، واستخدام الامكانيات

اهمية الوحدة

القرآن الكريم يبين الوحدة كمنهج واستراتيجية للمسلمين حيث جاء فيه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (آل عمران: ١٠٣)

فالقرآن الكريم اذن يعتبر الوحدة من عوامل اقامة دين الله وان التفرقة منافية لهذا الهدف ويقول: (أَقِمْوَا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...». (الشوري: ١٣).

مفهوم الوحدة

ما معنى وحدة الأمة الإسلامية؟ هل معناه أن يتم اختيار دين او مذهب واحد من بين الأديان



”يجب على جميع الإخوة والأخوات المسلمين ان يدركوا بأن أحد أهداف فلسفة الحج هو خلق التفاهم وتعزيز الأخوة بين المسلمين“ (الإمام الخميني، صحيفة نور، المجلد ١٠، ص ٦١) وفي رسالته إلى مؤتمر الحج العالمي، كتب آية الله الإمام الخميني: ”إن الأثر المرئي الأول للحج هو بث روح الوحدة والتضامن في كل واحد منهم وإبراز المجد والعظمة الاجتماعية للمسلمين وملء عقول كل واحد منهم بمشاعر العظمة. وبهذا الشعور بالعظمة يجد المسلمون في كل بلد إسلامي الشجاعة لمواجهة المعسكر المعادي للإسلام“ (الخميني، نداء إلى الحجاج، ٧٠/١١/٣٦ هـ جري - شمسي). من الناحية السياسية، يمكن أن يكون الحج أساساً لبناء دولة عالمية واحدة. لذلك سيكون هذا الحج جسراً للارتباط والتواصل بين المسلمين، بالإضافة إلى تلاقي الأجساد ووحدة القلوب والحكومات.

الهوامش والمصادر

١. القرآن الكريم.
- ٢ - ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مراجعة: إبراهيم، محمد أبو الفضل، مكتبة آية الله المرآشي النجفي، قم ١٤٠٤ هـ .
٣. ابن شعبه الحراني، حسن بن علي، تحف العقل، الطبعة الثانية، قم، جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٤ هـ .
٤. الإمام الخميني، روح الله، صحيفة الإمام، مركز تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، ١٩٩٩ م .
٥. الخميني، سيد علي، الموقع الرسمي لمكتب حفظ ونشر كتب ومؤلفات آية الله العظمى السيد علي الخميني.
٦. الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة (نسخة صبحي صالح)، تأليف: محمد بن حسين، قم، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ .
٧. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، (المطبعة الإسلامية- طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ .
٨. المطهري، مرتضى، مجموعة أعمال الاستاذ الشهيد مطهري، صدرا، قم: ١٣٧٢ هـ ش

إيمانهم، وبهذا الشكل يصبح الإسلام أقوى. وإذا كان معنى الكلام أن فلسفة الحج هي التقريب بين اتباع المذاهب، فهذا يعني التقريب بين قلوب المسلمين والنتيجة تعزيز الإسلام وتقويته. وعن دور الحج الموحد للمسلمين يقول أمير المؤمنين (ع): «وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي ... جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا» (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٣) ..يعني ان البيت الحرام هو علم الاسلام. وفي الماضي البعيد، كان من المعتاد أن يكون لكل من المجموعات التي تقاتل بعضها البعض رأيها او علمها الخاص الذي كانت تجتمع تحت لواءه. فالعلم كان رمزاً لوحدهم ومجتمعهم ومقاومتهم وبقائهم.و كان اهتزاز العلم دليلاً على حياتهم الجماعية، وكان سقوطه علامة على الفشل والتشتت. وحتى اليوم، يعتبر العلم رمز الاستقلال والوحدة والسيادة المستقلة للأمم والدول. وقد شبه أمير المؤمنين(ع) الكعبة وحج هذا البيت بعلم في ساحة فكر التوحيد والكفر، ومادام يكون هذا العلم مرفوعاً بين المسلمين، فإن وحدة المسلمين وتماسكهم ستبقى مصونة، وكما ان الأعلام(الرايات) ترمز الى وحدة الشعوب واتحاد سكانها وعلامة تضامنهم، وان رفعها هو علامة على حياتهم، فإن الكعبة هكذا بالنسبة للإسلام. (الشهيد مطهري، مجموعة كتبه، المجلد ٢٥، ص ٤٩).

وفي حديث آخر قال الإمام الصادق (ع):«لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا مَا قَامَتِ الْكُعْبَةُ» (الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٢٧١) وهذا يعني انه مادام الحج باقي فإن الاسلام باق، فالكعبة اذن هي علم الإسلام المقدس ورمز وحدة واستقلال المسلمين.

وهنا يجدر ان نذكر مقتطفات قصيرة من كلام القائد الكبير للثورة الخميني العظيم وكذلك قائد الحكيم للثورة الإمام الخميني عن دور الحج في تحقيق الوحدة بين المسلمين:

وعن دور الحج في خلق الوحدة بين المسلمين، يقول الإمام الخميني ١: ”من واجبات هذا التجمع الكبير دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة وحل الخلافات بين فئات المسلمين“ (الإمام الخميني، صحيفة نور، المجلد ٩، ص ٢٢٥)

لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى» (نهج الفصاحة، ص ٣٦٥؛ ابن شعبه حراني، تحف العقول، ص ٣٤)

ويذكر النبي(ص) المسلمين بأنه لديهم جانبان من جوانب الوحدة مع بعضهما البعض وهي وحدة الأبناء والوحدة في الدين والمعتقد وهذين العاملين من عوامل الوحدة والتلاحم والتي يجب أن تؤخذ في الاعتبار في موسم الحج. ويقول علي(ع) في كلماته حول الحج وهو يعبر عن فلسفة بعض أحكام الشريعة في الحج: «وَالْحَجَّ [تَقْوِيَةً] تَقَرُّبَةً لِلدِّينِ» (نهج البلاغة، صبحي صالح، ص ٥١٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٨٦)، يعني ان فلسفة الحج(تقوية للدين) أو فلسفة الحج هي التقريب بين أتباع الدين. والمقصود في كلا التعبيرين أن اجتماع الحج يعزز وحدة المسلمين ويقوى



فلسفة الحج بين العبودية والتسليم

■ داود الحسيني

في المشاعر المشرفة؟ ولماذا ينبغي خلق الرأس والامتناع عن التجمل؟ وغير ذلك عشرات التساؤلات الأخرى التي لا يمكن استيعابها من دون مبدأ العبودية والتسليم. ولهذا التعبد والعبودية في الحج أكثر من سائر العبادات. يروي المرحوم الفيض الكاشاني عن نبي الاسلام الاكرم، بأن رسول الله كان يقول اثناء التلبية: «لييك حقاً، تعبدوا ورقاً».

الحج يقوي روحية العبودية والتعبد لدى الانسان، حيث يردد الانسان النداء بتلبية الاحكام الالهية، وإن كان يجهل فلسفة واسرار ذلك. وعن فلسفة الحج يقول الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب:

على تعديل الثروة والقضاء على الفقر في المجتمع. والجهاد دفاع للذود عن كيان الاسلام وصيانتته. وهكذا احكام الاسلام الاخرى التي لا يصعب على الانسان التعرف على اسرارها المادية والمعنوية خلال حياته المادية. غير ان الحج عبادة يصعب - الى حد كبير - التعرف على اسرارها ورموزها والوقوف على ابعادها. فلماذا ينبغي خلع الملابس وارتداء لباس الاحرام؟ ولماذا ينبغي الطواف سبعة مرات حول الكعبة؟ ولماذا ينبغي الهولة بين الصفا والمروة؟ ولماذا ينبغي الجلوس في العراء

لكل واحدة من العبادات اسرار ورموز، لا يصعب الاحاطة بها والوقوف على خفاياها. على سبيل المثال، في الصلاة ركوع وسجود يوحى للانسان معنى التعظيم. والتشهد في الصلاة بمثابة اعتراف بعظمة الله تعالى ورسالة نبي الاسلام الاكرم(ص). والصيام مقرون بالامساك والامتناع عن الرغبات والشهوات. ومثل هذا الفعل يتسق ويتناغم مع المعوزين، ويقوي لدى الانسان القدرة على التحكم بالنفس ازاء الشهادة والرغبة بالاستحواذ على المزيد، اضافة الى اقترانه بمنافع مادية نظير سلامة الابدان. والزكاة تبعث





شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ
لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ..» (الكليني، اصول الكافي،
ج ٤، ص ٣٣٥). ولا يخفى ان حقيقة العبودية هي
الانصياع الى أمر الله تعالى، بغض النظر عن
معرفتكَ بفلسفة الحج أو جهلك بها. أو النظر الى
المنافع المادية أو المعنوية بالنسبة لك مصداقاً
لقول الامام أمير المؤمنين: «مَا عَيْدَتْكَ خَوْفاً
مِنْ نَارِكَ، وَلَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ، وَلَكِنْ وَجَدْتُكَ
أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ» (الفيض الكاشاني، كتاب
الوافي، ج ٤، ص ٣٦١).

باختصار ان احدي فلسفات الحج تكمن في تجلي
روحية العبودية لدى الحاج، وفي هذا يقول النبي
الاكريم (صلوات الله وسلامه عليه): «وَأَمْرٌ بِالْحَجِّ
وَالطَّوَّافِ وَأَشْرَعَتِ الْمَنَاسِكُ، لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِذَا
لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِكَ لِلْمَذْكُورِ - الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ
وَالْمَبْتَغَى - عَظْمُهُ وَلَا هَيْبُهُ فَمَا قِيمُهُ ذَكَرَكَ. (
النراقي، جامع السعادات، ج ٣، ص ٣٢٢).

ملتحف البنى، متصل القرى، بين برة سمراء،
وروضة خضراء، وارياف محدقة، وعراض مغدقة،
ورياض ناضرة، وطرق عامرة، لكان قد صغر
قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، ولو كان
الاساس المحمول عليها، والاحجار المرفوعة بها،
بين زمردة خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء،
لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور، ولوضع
مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج
الريب من الناس، لكن الله يختبر عبادَهُ بانواع
الشدائد، ويتعبدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم
بضروب المكارة، إخراجاً للتكبر من قلوبهم،
وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً
فتحاً الى فضله، واسباباً ذللاً لعفوه » (نهج
البلاغة، تصحيح الدكتور صبحي الصالح، الخطبة
١٩٢، المسماة بالقاصعة).

و من اولى الخطوات التي يستعد بها الانسان
للحج تتمثل في الاحرام والتلبية، حيث يعلن
عن عبوديته لله تعالى بالقول: «لَبَّيْكَ
اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا

ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من
لادن آدم الى الآخرين من هذا العالم، بأحجار
لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها
بيته الحرام - الذي جعله قياماً للناس - ثم
وضعه بأوعر بقاء الارض حجراً، وأقل نتائج
الدنيا مدرأ، واضيق بطون الاودية قطراً، بين
جبال خشنة، ورمال دمثة، وعيون وشلة، وقرى
منقطعة، لا يزكو بها خوف، ولا حافر ولا ظلف،
ثم أمر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه، فصار
مثابة لمنتجع اسفارهم، وغاية لملقى رحالهم.
تهوي اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة
ومهاوى فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة،
حتى يهزوا مناكبهم ذللاً يهللون لله حوله،
ويرملون على اقدامهم شعثاً غبراً له، قد نبذوا
السراويل وراء ظهورهم، وشوهوا باعفاء الشعور
محاسن خلقهم، ابتلاء عظيم، وامتحاناً شديداً،
واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً
لرحمته، ووصلة الى جنته، ولو اراد سبحانه ان
يضع بيته الحرام، ومشاعره العظام، بين جنات
وانهار، وسهل وقرار، جم الاشجار داني الثمار،





الثقافة والتبادل الثقافي في الحج

■ تأليف: حافظ نجفي، عضو قسم الأخلاق
بمركز أبحاث الحج والزيارات

أجل نمو وتوسع الثقافة الإسلامية الأصيلة، يتمتع المسلمون بالعديد من الإمكانيات والقدرات والفرص، ويعتبر وقت ومكان الحج من الفرص القيمة للحفاظ على ثقافتهم وهويتهم الدينية وتعزيزها.

ومناسك الحج بالإضافة إلى أجوائها المعنوية والتربوية والأخلاقية، تشتمل على أبعاد سياسية

المأخوذة من القرآن وسنة نبي الإسلام (ص) والآئمة الأطهار عليهم السلام التي تشكل الهوية الثقافية للمسلمين، والتي من أهم سماتها القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية والمسلمين والتي ينبغي إلى جانب الالتزام بها - كتوجيهات دينية - بذل الجهود والمسااعي من أجل صيانتها ونشرها وتطورها أيضًا. ومن

ان الثقافة تعني المعرفة والأدب، والتعليم والتربية، (قاموس دهخدا: المجلد ١٠، ص ١٥١٠٩) وفي هذا البحث، تعني الثقافة المعتقدات والقيم الأخلاقية وعادات الحياة ونماذج وأساليب العمل



لآدم صفي الله وإبراهيم خليل الله وإسماعيل ذبيح الله وتفاصيل الحضور المتواصل للنبي الأكرم وأصحابه وانصاره المؤمنين المخلصين في مكة والمدينة. إن مناسك الحج والكعبة المشرفة هي علامة على التوحيد وعلى المعتقدات الإسلامية الأصلية التي لا يضل من اتباعها. ولهذا نلاحظ أن الحج في كلام أمير المؤمنين علي (ع) تم التعبير عنه بأنه علما للسلام: (جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا...) (الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة الأولى)

وللحج وتجمعه الكبير في الآيات والروايات أهداف محددة تعتبر بدورها وسيلة لتأمين مصالح المسلمين.. (و لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ... الحج ٢٨). فنقل الأفكار والتفاعل والتواصل المثمر بين أتباع المذاهب الإسلامية يعتبر من أهم فوائد الحج. كما أن العلم والمعرفة مثل عقيدة التوحيد، والعبادة الخالصة لله تعالى، والتقرب إلى الساحة الإلهية المقدسة، وتطهير النفس والروح من الذنوب الدنيوية، وبلوغ الكمال المنشود والأمال السامية، وتحقيق القيم الإنسانية الناتجة عن التفاعل والتعامل الأخوي مع شعوب العالم الأخرى، ومعرفة الثقافة الديناميكية للإسلام، والتفكير في السعادة والتقدم العلمي والثقافي والاجتماعي للمسلمين.. هي من الأمور الواجبة التي ينبغي على كل فرد مسلم أن ينقلها إلى الأمم الأخرى والأجيال القادمة.

والمسلمون الذين يأتون من جميع أنحاء العالم ويجتمعون في هذا المكان، يمكنهم من خلال تعزيز روح التوحيد وتوسيع العلاقات والتفاعلات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، الحيلولة دون انزواء وانعزال الإسلام والمسلمين وأن يبينوا للعالم مدى قدرة وقوة المسلمين وماهي قدرة هويتهم الثقافية، وأن يحققوا السلام والأمن في ظل النظام التوحيدي للحج. والحج في الواقع، هو جامعة ثقافية عالية وسامية يتم فيها تدريس الإنسان ثقافة البناء الذاتي والأمن والعدالة الاجتماعية والتفاني والنظام والانضباط حتى يتمكن من نشر هذه التعاليم في العالم بأسره. من هنا وحسب ماجاء على لسان الأئمة. فإن التواصل بين الناس وتبادل الثقافات والحوار والتفاهم يعتبر أحد أهداف

لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ وَ لَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ... (الشريف الرضي، نهج البلاغة، الرسالة ٦٧).

وقبل وفاة معاوية بسنة واحدة، جمع الإمام الحسين (ع) سبعمائة من أصحاب النبي (ص) في منى من أجل توعية المسلمين أثناء الحج، حيث تحدث عن جرائم معاوية وولايت العهد ليزيد وآثارها الضارة على المجتمع الإسلامي. كما ذكر فضائل أمير المؤمنين علي (ع) من خلال الإشارة إلى حديث المؤاخاة وحديث سد الأبواب وواقعة والمباهلة وتذكيرهم بسورة البراءة فأثر ذلك في أصحاب الرسول (سالم بن قيس الهلالي، كتاب سليم: المجلد ٢، ص ٧٩٣-٧٩٨)

من وجهة نظر أمير المؤمنين علي (ع)، إن الذين ينجحون في رحلة الحج هم المختارون الذين ساروا في هذه الرحلة الروحية، على خطى الأنبياء، وهم الملزمون بمواصلة طريق الأنبياء. قال: وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَ [يُؤْلَهُونَ] يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ [وَلَهُ] وَلَوْهُ الْحَمَامِ وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عِلَامَةً لَتَوَاضَعَهُمْ لِعَظَمَتِهِ وَ إِذْعَانَهُمْ لِعِزَّتِهِ وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سَمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَ تَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحَرِّزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا وَ لِلْعَائِدِينَ حَرَمًا [وَ] فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ وَ كَتَبَ [عَلَيْهِ] عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ". الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة الأولى).

وتأسيسا على ما تم ذكره، فإن أيام الحج هي أفضل وقت للتفاعل الفكري والتبادل الثقافي والتحاور الصادق بين المسلمين من أجل تحقيق القيم الدينية السامية والوصول إلى ثقافة إسلامية ديناميكية. والواقع أن الحج يمكن أن يصبح مؤتمرًا ثقافيًا ضخمًا يجتمع فيه مفكرو العالم الإسلامي خلال أيام وجودهم في مكة ويقدمون أفكارهم ومبادراتهم لبعضهم البعض. إن التواجد في أرض مكة والمدينة، بالنسبة لكل مسلم، هو تذكير بأفضل وأقوى الذكريات الخالدة

واجتماعية وثقافية قيّمة، والتي، إذا ما تم تنفيذها بشكل صحيح، يمكن أن تضع المسلمين في مكانة دولية عالية وترتقي بالثقافة الإسلامية إلى مكانها المرموق. وذلك لأن الحج من أهم الشعائر الدينية التي لها طابع عابر للحدود. حيث نلاحظ أنه بالرغم من الاختلاف في كثير من الأحكام والقضايا الدينية بين المذاهب الإسلامية، إلا أننا لانشاهد في الحج أي اختلاف بين المسلمين، فقضايا مثل الإحرام، والطواف، والصلاة، والوقوف في عرفات، والمشعر و منى، ورمي الجمرات و... إلخ، يقبلها جميع العالم الإسلامي. وهذه الأوامر الإلهية هي التراث الثقافي العظيم والمشارك للمسلمين وأهم المناسك الدينية في الدين الإسلامي الحنيف، التي تجمع سنويًا ملايين المسلمين من مختلف أرجاء العالم في مكان واحد.

موسم الحج فرصة ذهبية لنشر الثقافة الإسلامية وتبادلها

في السيرة العملية لنبي الإسلام (ص)، الذي كلفه الله مهمة تبليغ ونشر التعاليم النورانية للإسلام (سورة المائدة، الآيات ٦٧، ٩٢، ٩٩) وكذلك في السيرة العملية للأئمة الأطهار (ع)، نلاحظ أن هذه الشخصيات العظيمة كانت تستغل أيام الحج لتبليغ ونشر تعاليم الإسلام وتوعية الناس. وكان نبي الإسلام خلال ثلاثة عشر عامًا من إقامته في مكة، على اتصال بممثلي ورؤساء القبائل الذين كانوا يأتون من المدن والمناطق المختلفة إلى مكة للحج، وقد ذكر المؤرخون في هذا المجال نماذج عديدة على ذلك. (سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٢٢). وفي حجة الوداع خاطب النبي (ص) الناس قائلا: (يُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ...) (يعني أن على الحاضرين في الحج أن ينقلوا مقالته النبي إلى الآخرين الذين لم يكونوا حاضرين في حجة الوداع (سليم بن قيس الهلالي، كتاب سليم: المجلد ٢، ص ٥٧٩ و ٦٥٥).

وكتب الإمام علي (ع) إلى قُثم بن عباس الذي كان عامله في مدينة مكة: فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ - وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَ اجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَقِ الْمُسْتَفْتِيَّ وَ عِلْمَ الْجَاهِلِ وَ ذَاكِرِ الْعَالَمِ وَ لَا يَكُنْ



وفوائد الحج. يقول امام صادق عليه السلام حول فلسفة الحج: «فَجَعَلَ فِيهِ الْاجْتِمَاعَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِيَتَعَارَفُوا... وَ لِيَتَعَرَفَ أَثَارُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَ تُعَرَفَ أَخْبَارُهُ وَ يُذَكَّرَ وَ لَا يَنْسَى... (الشيخ صدوق، علل الشرائع، ج ٢: ص: ٤٠٦).

ويشارك في هذا التجمع السنوي، أناس جديرين من كل بلد ومن حذب وصوب كممثلين لمجتمعهم، ويمكن اعتبار أحد إنجازات هذا الحضور هو التعرف على الأفكار والاتجاهات الفكرية ونقل المعلومات لبعضهم البعض. وفي شرحه لفلسفة الحج، أشار الإمام الرضا (ع) إلى بعض منجزاته ومكاسبه الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، التي يؤدي الالتزام بها إلى استفادة الحجاج من المنافع الأخلاقية والدينية، ويؤدي دوراً مهماً في توسيع التفاعل بين المسلمين. وفي حل مشاكلهم، و قال:

و علة الحج الوفاة إلى الله تعالى و طلب الزيادة و الخروج من كل ما اقترف و ليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل و ما فيه من استخراج الأموال و تعب الأبدان و حظرها عن الشهوات و الذات و التقرب بالعبادة إلى الله عز و جل و الخضوع و الاستكانة و الذل شاخصاً في الحر و البرد و الامن و الخوف دائماً في ذلك دائم و ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع و الرغبة و الرهبة إلى الله تعالى و منه ترك قساوة القلب

و جسارة الأنفس و نسيان الذكر و انقطاع الرجاء و الأمل و تجديد الحقوق و حظر الأنفس عن الفساد و منفعة من في شرق الأرض و غربها و من في البر و البحر ممن يحج و ممن لا يحج من تاجر و جالب و بايع و مشتر و كاسب و مسكين و قضاء حوائج أهل الأطراف و المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم... (شيخ صدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص: ٩٠) و علة الحج هو اللجوء إلى الله و طلب الأجر العظيم، والخروج من كل الذنوب التي أرتكبها الإنسان.

وعلى المسلمين أن يعلموا أن أعداء الإسلام كانوا دائماً يحاولون وبكل جدية منع انتشار ثقافة الإسلام الأصيلة. فهم ومن خلال استخدام وسائل الإعلام المتطورة، يحاولون نشر الثقافة الغربية المبتذلة وإضعاف العناصر القيمة للهوية الثقافية الإسلامية، المتجذرة في الإسلام والقيم الدينية. والسبيل الوحيد لمواجهة مخططات الأعداء هو اتحاد المسلمين وتضامنهم في الحج ونقل الثقافات، الأمر الذي سيجعلهم ينشرون التعاليم الإسلامية ويبينون الوجه الحقيقي للإسلام عند عودتهم إلى أوطانهم ويسعون إلى تبديل المسلمين إلى قوة عظمى.

وقال الإمام الخميني رحمه الله : من الواجب

عليكم يا أمة الاسلام العزيمة الذين اجتمعتم في أرض الوحي لأداء شعائر الحج، أن تنتهزوا الفرصة وتفكروا في سبيل الخلاص. وتبادلوا الآراء وتتفاهموا لحل قضايا المسلمين الشائكة.

وعليكم أن تأخذوا بنظر الاعتبار أن هذا التجمع الكبير، الذي يحدث بأمر-الله تعالى-كل عام في هذه الأرض المقدسة، يوجب عليكم أيتها الشعوب الاسلامية أن تبدلوا جهودكم في طريق اهداف الاسلام المقدسة، والأهداف السامية للشريعة المطهرة، وفي طريق تقدم وسمو المسلمين، وتضامن المجتمع الاسلامي وتلاحمه. عليكم أن تتحدوا في الفكر وتتحالفوا في طريق الاستقلال، واستئصال سرطان الاستعمار. وان تستمعوا الى مشاكل الشعوب المسلمة من لسان اهالي كل بلد، ولا تألوا جهداً في طريق حل مشاكلهم. وأن تجدوا حلاً لفقراء البلاد الاسلامية ومساكينها. وتفكروا في طريق تحرير ارض فلسطين المسلمة من مخالف الصهيونية العدو للدود للاسلام والانسانية. ولا تغفلوا عن مساعدة الرجال المضحين الذين يناضلون في سبيل تحرير فلسطين، والتعاون معهم.

(الإمام الخميني، صحيفة الإمام، المجلد ٢، ص ٣٢٣)

ويوصي سماحة القائد (حفظه الله) المسلمين



بهذا الصدد: "في الحج أيها الإخوة والأخوات الذين تجمعوا من مختلف بقاع العالم في مؤتمر الحج الكبير وهاجرتم من (انا) العرقية - القومية المحترفة والتحقتهم الى (نحن) الإسلامية والقرآنية، فمن المناسب أن تأخذوا بالإعتبار بعض الأمور وتبادلوا الأفكار بشأنها مع المسلمين الآخرين وان تنفذوها بعد رحلة الحج. (نداء قائد الثورة المعظم الى الحجاج (في ١٦/٦/١٩٩١م).

كما قال سماحته ايضا (بهذا المعنى): "إن رؤية الحشود الضخمة من الحجاج الموفدة من مختلف أرجاء العالم تحبط المؤامرات الاعلامية للعدو والحج الحقيقي والكامل يستطيع من خلال تقريب القلوب وتبادل الوعي والمعلومات ان يفضح المؤامرات. ويفشل أخطر مكائد العدو على الإسلام والمسلمين. (صحيفة الحاج ج ٢ ص ٢٢٢ و ١٦٥).

في العصر الراهن، بسبب ظهور قضايا مثل العولمة والثقافة العالمية الواحدة، تم جلب الثقافة من الهوامش إلى صميم القضايا الاجتماعية وتم طرح موضوع أهمية التواصل الثقافي أكثر من أي وقت مضى. والثقافة الوحيدة التي ستجد الفرصة للنمو والتطور هي الثقافة الثرية الأصيلة

المدعومة برأس مال علمي، ولحسن الحظ، يفخر الدين الإسلامي المقدس بهذا الرأس مال الثمين، ولكن يجب استغلال هذا الرأس مال بشكل جيد، و إحد هذه السبل الجيدة هو التبادل الثقافي والاجتماعي والسياسي. واعتبر الإمام الصادق عليه السلام أن عدم الاستفادة من إمكانيات الحج وتجاهل آثاره المادية والروحية هو سبب عزلة المسلمين وخسارتهم المادية والمعنوية. وقال سلام الله عليه في معرض اشارته الى ضرورة الاجتماع والتواصل بين المسلمين: (فَجَعَلَ فِيهِ الْاجْتِمَاعَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِيَتَعَارَفُوا وَ لِيَتَرَبَّحَ كُلُّ قَوْمٍ مِنَ التَّجَارَاتِ مَنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَ لِيَنْتَفِعَ بِذَلِكَ الْمَكَارِي وَالْجَمَالَ وَ لِيَتَعَرَفَ آثَارُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ تَعَرَفَ أَخْبَارَهُ وَ يَذْكُرَ وَ لَا يُنْسَى وَ لَوْ كَانَ كُلُّ قَوْمٍ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَى بِلَادِهِمْ وَ مَا فِيهَا هَلَكُوا وَ خَرِبَتِ الْبِلَادُ وَ سَقَطَ الْجَلْبُ وَ الْأَرْبَاحُ وَ عَمِيَتِ الْأَخْبَارُ وَ لَمْ يَقِفُوا عَلَى ذَلِكَ فَذَلِكَ عَلَّةُ الْحَجِّ. الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص: ٤٠٦)

المصادر:

- الإمام الخميني، السيد روح الله، صحيفة الإمام

(صحيفة النور)، مؤسسه تنظيم و نشر تراث الإمام الخميني (رضوان الله عليه)، شتاء عام ١٣٧٩ هجري-شمسي.

- الإمام الخميني، السيد روح الله، صحيفة الحج، مركز أبحاث الحج، دار مشعر للنشر. شتاء ١٣٨٢ هـ-ش

- الشيخ الصدوق محمد بن علي (١٤٠٨ هـ). علل الشرائع، الطبعة الأولى بيروت: دار إحياء التراث.

- قاموس دهخدا (١٣٣٤ هـ-ش) بإشراف محمد معين وسيد جعفر شهیدی، طهران، مؤسسة (لغت نامه) وجامعة طهران، ١٣٧٣ هـ-ش.

- الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سالم بن قيس الهلالي ٧٦ هـ المؤلف / المحرر: أنصاري زنجاني خويني، محمد، الناشر: الهادي، إيران. قم ١٤٠٥ هـ

- الشريف الرضي، محمد بن حسين (١٣٦٩ هـ-ش)، نهج البلاغة، بحث: السيد كاظم المحمدي، محمد الدشتي، دار نشر الإمام علي (ع) ٠ قم، الطبعة الثانية.

- الشيخ صدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (الشيخ الصدوق ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، بحث: مهدي الحسيني. اللاجوردي، طهران، دار نشر جهان. ١٣٧٨ هـ-ش



معالم الحج و آفاقه في القرآن و مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

■ السيد منذر الحكيم

حيويتها .

وآله في خطاه الحكمة والقرآن العظيم في توجيهاته السديدة، فسلكوا سبيل الهدى بكل ما أوتوا من حَوْلٍ وقوة وحكمة حتي بينوا معالم وتفاصيل هذه العبادة المهمة بشعائره المتنوعة، وأرسوا دعائمها تشريعا وتشويقا، وحَثُّوا على أدائها كل من يرتبط بهم من قريب أو بعيد، وجسدوا كل ما قالوا في سلوكهم الحي، ولم يكتفوا ببيان

ولم تستطع أيدي العابثين أن تعطل هذه العبادة العظيمة بالرغم من سعيهم الحثيث لإفراغها من مضمونها ومحتواها الكبير . ويعود ذلك كله لأسباب منها: الدور الفاعل لأهل بيت الوحي عليهم السلام بما فيهم سيد المرسلين، وأئمة المسلمين من أبناء الرسول العظيم، الذين تابَعوا الرسول الكريم (ص)

تحظى فريضة الحج باهتمام المسلمين جميعا وتعدّ من الشعائر والعبادات التي يتفق على وجوب أدائها جميع المذاهب الإسلامية، كما تعبّر هذه الفريضة عن وحدة الأمة الإسلامية واستقلال كيانها. وهي بعد ذلك كله: رمز قوتها وعظمة قدرتها واستمرار



كلّ ما جعل علما لطاعة الله تعالى. وهي أعمال الحج أيضا، والمشاعر هي موضع المناسك .

وشعار القوم في الحرب علامتهم ليعرف بعضهم بعضا، وأسعر الهدي إذا طعن سنامه الأيمن حتى يسيل منه دم ليعلم أنه هدي . ومن هنا فقد عُرف الشعار بأنه «ممارسة - كلامية أو غير كلامية - تصبغ شخصية الإنسان الممارس، وتطبعها بطابع خاص يميزها عما سواها» (١).

فالشعائر الإلهية هي معالم الطاعة لله تعالى، والتي تتضمن ممارستها أهدافا حقيقية هي أهداف الشريعة التي تقودها وتدعو إلى ممارستها، كما أنها تعطي للممارسين لها عنوانا يميزهم عن سواهم . وتتجلى هذه النقاط بوضوح في جملة من آيات الذكر الحكيم، مثل قوله تعالى:

١ - ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله علي ما رزقهم من بهيمة الأنعام. (٢)

٢ - والبُدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير. (٣)

٣ - ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه. (٤)

٤ - ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوي القلوب. (٥)

فالتقوي هو الهدف الذي تسعى الشريعة الإسلامية لتحقيقه من خلال العمل بقوانينها، والشعائر الإلهية التي نصت عليها آيات الذكر الحكيم هي شعائر الحج وهي من جملة أركان العبادة الإسلامية، التي ينبغي للمسلمين احترامها وتعظيمها باعتبارها من «حُرّمات الله»، فهي من جملة القوانين التي تحمل طابع العبادة أولاً وتعطي للمسلمين معلماً من معالم شخصيتهم المستقلة ثانياً فهي تحمل بين جوانحها روح التسليم لله، والشعور بالعزة بالله، والشعور بالاستقلال عن سائر الأمم بشتي شرائعها ومذاهبها .

شعائر الحج في القرآن الكريم: تتضح أهمية الحج وشعائره الإلهية في القرآن الكريم من خلال:

ومن هنا كان من الطبيعي جداً أن يكون منهجهم في إرساء دعائم هذه الفريضة العظيمة وتعظيم شعائر الله هو منهج القرآن المجيد، وخُطاهم إلى تثبيت قواعدها تبع لخطاه .

والقرآن المجيد قد كثف الإضاءة علي بيت الله الحرام ومشاعر الحج العظام، تاريخاً وتعظيماً وفلسفة وأحكاماً وعرفاناً، فجعله مركزاً للتوحيد، وعتيقاً من براثن الشرك، وقياماً للناس، ومباركاً وهدياً للعالمين، وأمناً للناس، ومثابة لهم، ومطهراً ومحلاً خاصاً للطائفين حول محور الوجدانية الحقيقية والعاكفين والركع السجود . فهو التعبير الصادق عن إسلام الوجه لله والتسليم لإرادته العليا، والمختبر الكامل للإنسان الطائع باتجاه الكمال اللائق به، والبوقة التي تصهر شوائب الروح، وتمحو ما علق بها من أدران خلال مختلف مراحل الحياة .

لقد كانت لسيرتهم الزاخرة بالعباءة العلمي والعَمَلِي والعرفاني وكان لسعيهم الحثيث - لإرساء معالم الشريعة وقواعدها المحكمة - الدور الكبير والأثر البالغ في تألق الإسلام والمسلمين بشكل عام وتجلية عظمة الشريعة الإسلامية بشكل خاص، وتركيز شعائر الحج بشكل أخص حتى ورد عنهم عليهم السلام «أن الدين لا يزال قائماً ما قامت الكعبة»، وأنّ ولاية الأمر مسؤولون عن رعاية هذه الشعائر في كلّ الظروف التي تمرّ بها الأمة الإسلامية، وينبغي أن لا يحول بينهم وبين إقامتها أي ضعف مالي، أو أي خلل اقتصادي ينتاب الناس حيث تخصص بعض ميزانية الدولة الإسلامية؛ لإحياء هذه الشعائر على مرّ الدهور والأحوال .

نعم هذه هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهي تعطي صورة موجزة وملخصة جداً من معالم نظريتهم وثقافتهم الرّبّانية إلى الاسلام ككل، وإلى هذا الركن الإسلامي العظيم بشكل خاص .

الشعائر الإلهية: جاء في مختار الصحاح أنّ (الشعائر): هي

تاريخها العريق من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء (ص) وفنائها وآثارها الدنيوية المادية وأجرها الأخروي، وإنّما عكفوا علي بيان فلسفتها شعيرة شعيرة، وعملاً عملاً، ونفّذوا إلي أعماقها؛ ليصوّروا عرفانها بالعمل قبل البيان، وبالجنان قبل اللسان .

لقد تميزت مدرسة أهل البيت في نظرتها إلي الحجّ وشعائره بمميزات أعطت الحجّ مضموناً خاصاً، وشكلاً متميزاً يشار من خلاله إلي أتباعها بالبنان، وهو يثير لدي المسلمين عامة أسئلة شتى عن مدى البعد المعنوي والسياسي المتميز لحجّهم عن سواهم، اقتداءً بأئمة أهل البيت المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ويمكن تلخيص هذه المميزات في عدّة نقاط:

الأولى: شدّة الاهتمام المتمثّل بالقول والعمل معا .

الثانية: الاهتمام المتميز بالشكل والمضمون معا .

الثالثة: عدم إغفال البُعدين السياسي والجهادي إلي جانب البُعد العبادي .

الرابعة: تعميق البُعد العبادي والعرفاني بشكل ملفت للنظر .

الخامسة: عدم تجاوز نصوص ومقاصد الكتاب والسنة بالرغم من كثرة التفرع والتفصيل .

إنّ أهل بيت الرسول الأمين (ص) وعترته المعصومين - الذين قرّنههم الرسول (ص) بمحكم التنزيل واعتبرهم عدلاً للقرآن العظيم في حديث الثقلين الشهير وحديث السفينة وحديث النجوم وغيرها ممّا ورد في تفسير آيات الذكر الحكيم التي تشير إلي أنهم أهل الذكر وولاة الأمر والحافظون لحدود الله - هم الرّواد الصادقون الأمناء على شريعة جدّهم ورسالته حيث عصمهم الله من الزلل وآمنهم من الفتن، والمطهرون الذين يتسنّى لهم تفسير الكتاب كما ينبغي، واقتفاء أثره اقتفاءً يجعلهم الأسوة الحسنة بعد رسول الله (ص) والقُدوة المثلي التي لا يطمع في إدراكها طامع .



القرآني مثل قوله تعالى:
١ - وَمَنْ يَعْظُم حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ .

٢ - وَمَنْ يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ .

ويتجلى التأکید في التكرار المتنوع، واستعمال شتي أساليب التأکید البلاغي في الآيات المباركة .

ويأتي بيان حرمة البيت وأمنه وحلول البركة فيه، واعتباره محطة اشعاع وهداية للعالمين بما فيه من عدة عوامل إيجابية للحث والتحريض والتشويق لقصد وجه وإحياء شعائره .

هذا فضلاً عن النص الدال على الوجوب، والنصوص المتضمنة لبيان فلسفة الحج، وفلسفة إقامة هذه الشعائر حيث إنها تعد من أساليب الحث والتشويق أيضاً .

وتتكرر في آيات الحج الإشارة والتصريح إلى فلسفة الحج في الإسلام، والحكم التي تحققها ممارسة شعائره ومناسكه. قال تعالى:

١ - ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. (١)

٢ - والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير. (١٢)

٣ - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم. (١٣)

٤ - كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم. (١٤)

٥ - وأذن في الناس بالحج. .. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله. (١٥)

٦ - ذلك ومن يعظم حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ. (١٦)

٧ - ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى. (١٧)

٨ - الحج أشهر معلومات. .. وتزودوا فإن خير الزاد التقوى (١٨)

إن تكثيف الإضاءة على فلسفة الحج، وحكم ممارسة الشعائر المرتبطة به، هو أسلوب متميز في بناء الإنسان وتربيته وصياغة تصورات صياغة تجمع بين طياتها روح التعبد

وسورة الفيل .

ومن السور المدنية: سورة البقرة [الآيات ١٢٥

- إلى ١٢٩ و ١٤٢ إلى ١٥٢ و ١٥٨ و ١٨٩ و ١٩٦ إلى ٢٠٣]. وسورة آل عمران [الآيات ٩٥ إلى ٩٧

وسورة المائدة [الآيات ٢ و ٩٥ إلى ٩٧]، وسورة الأنفال [الآيات ٣٤ إلى ٤٠] وسورة

التوبة [الآيات ١ إلى ١٩ و ٢٨] وسورة الحج [الآيات ٢٥ إلى ٣٧]

وأما أسلوب العرض فهو أسلوب الحث والتحريض والتأكيد والتعميم، فالخطاب فيه للناس كافة وليس للمؤمنين خاصة، قال تعالى:

١ - إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. (٦)

٢ - ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. (٧)

٣ - وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا (٨)

٤ - جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس. (٩)

٥ - وأذن في الناس بالحج. (١)

وهناك أدوات أخرى للعموم استخدمها النص

١ - المساحة التي استوعبتها آيات الحج في القرآن الكريم .

٢ - أسلوب الطرح واسلوب الدعوة إلى إقامتها .

٣ - الاهتمام البالغ بفلسفة إقامة هذه الشعائر .

٤ - تقنين هذه الشعائر وبيان أحكامها بالتفصيل .

٥ - الاهتمام ببيان جذورها التاريخية العريقة .

وإذا لاحظنا منهج أهل البيت عليهم السلام فيما يخص إحياء شعائر الحج وقارنناه بالمنهج القرآني وجدناه يحذو حذوه ويتمثل خطاه حذو القذة بالقذة .

أما المساحة الملفتة للنظر فهي تتوزع على السور المكية والمدنية معاً، ولا سيما إذا لاحظنا كل ما يرتبط بالحج وتأريخه وشؤونه . فمن السور المكية: سورة إبراهيم [الآيات ٣٥ - ٣٧]، والنمل [الآية ٩١] والقصص [الآية ٦٧]، والعنكبوت [الآيات ٢٤ إلى ٢٨] ومطلع سورة البلد ومطلع سورة التين وسورة قريش



قال تعالى:

١. ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين. (١٩)

٢. وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأماناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى. (٢٠)
فالله سبحانه - الذي له المولوية المطلقة وله الخلق وحق النعمة علي جميع الناس - يجعل أداء هذا الواجب أداءً لحقه، والإعراض عنه كفراناً للنعم الإلهية وكفراً عملياً بالمنعم، ولا يكون أداؤه تلبية لهذا الحق لحاجة منه تعالى إلي أعمال عباده، بل يعود نفعه إلي الناس أنفسهم. ومثل هذا القانون الذي ينطلق تشريعه للناس من مصالح العباد أنفسهم، ولا يكون للمشروع فيه أي غرض أو مصلحة شخصية، لا يجد الإنسان الطائع في أدائه ثقلاً وحرماً مهما كانت صعوبته..

ويأتي الاهتمام ببيان الجذور التاريخية العريقة لهذه الشعائر معلماً من معالم المنهج القرآني؛ لإرساء قواعد هذه الفريضة

والتعقل معا من دون أن يسلب التعقل روح التعبد من الإنسان العاقل، وإنما يتسامى بتقواه ليلبغ مرتبة أولى الأبواب، فيتكامل عقلاً ويتسامى روحاً، وهو يمارس هذه الشعائر بوعي وجدّ واهتمام .

ويمكن تلخيص هذه الأهداف التي نص عليها الكتاب العزيز فيما يلي:

١ - ذكر الله وحده في كل حال ومجال وعلى كل شيء، واجتناب رجس الشرك على كل المستويات تصوراً واعتقاداً وتعللاً وسلوكاً .
٢ - تنمية روح التقوى التي بها فلاح الإنسان وفوزه على أسس التوحيد الخالص .

٣ - الانتفاع من موسم الحج وشعائره علي شتّى الأصعدة: اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً فضلاً عن التكامل الثقافي في مثل هذا الموسم الفريد، والتسامي الروحي والمعنوي في جميع لحظات هذا الموسم .

ويتفرّد القرآن الكريم بأسلوبه الخاصّ لبيان قوانينه وأحكامه بياناً يتناغم مع منطق العقل ومنطق العاطفة، ويجمع بين متطلبات العقل، متطلبات الروح معا .

في المجتمع الإسلامي .

إن رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لقواعد البيت يشير إلي أن بيت الله الحرام قد سبق وضعه للناس عصر إبراهيم الخليل عليه السلام، والاهتمام ببيان دور إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام في تشييد دعائم هذا البيت العتيق وأمره بأن يؤذن في الناس بالحجّ بعد تشييد دعائمه .

واستمرار الناس في إقامة شعائره كرمز من رموز الحنيفية .. لدليل علي أهمية بيان الجذور التاريخية لهذه الفريضة المباركة، ومدى تأثير ذلك في إرساء قواعد الحركة التصحيحية والتكاملية، التي خطاها القرآن الكريم باتجاه تعميق هذا التيار في المجتمع الإسلامي الفتى .

أهل البيت عليهم السلام على خطى القرآن الكريم

لم يتخط أهل البيت عليهم السلام هدى القرآن الكريم في سيرتهم وسنتهم، التي هي تجسيد وامتداد لسنة الرسول العظيم .

إن ما تضمّنته مصادر السيرة والتاريخ فيما



الثانية: ظاهرة العرفان العميق

لهذه الفريضة، وتجاوز مظاهرها باتجاه باطنها، والغور في أعماقها، فكل عمل ظاهر وباطن، ولكل شعيرة مظهر وواقع، وبالرغم من أن الاهتمام بمظاهر الحج يحقق أهدافاً جلياً، وقد دعا الأئمة عليهم السلام المسلمين إلى الاهتمام بهذه المظاهر، ولكن الأئمة أنفسهم لم يقفوا عند حدود المظهر، بل كانوا لا يعتبرون الحج حجاً إلا إذا نفذ الإنسان إلى أعماقه. وهناك نموذج مما أثر عن الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الصدد، وذلك في حديثه مع الشبلي بعد أن حج والتقى بالإمام عليه السلام. (٢٨)

الهوامش:

- (١) السيد محمد باقر الحكيم: الفكر الإسلامي، العدد ١١، ص ١٠ (دور الشعائر في النظرية الإسلامية).
- (٢) الحج: ٣٤.
- (٣) الحج: ٣٦.
- (٤) الحج: ٣٠.
- (٥) الحج: ٣٢.
- (٦) آل عمران: ٩٦.
- (٧) آل عمران: ٩٧.
- (٨) البقرة: ١٢٥.
- (٩) المائدة: ٩٧.
- (١٠) الحج: ٢٧.
- (١١) الحج: ٣٤.
- (١٢) الحج: ٣٦.
- (١٣) الحج: ٣٧.
- (١٤) الحج: ٣٧.
- (١٥) الحج: ٢٧.
- (١٦) الحج: ٣٠.
- (١٧) الحج: ٣٢.
- (١٨) البقرة: ١٩٧.
- (١٩) آل عمران: ٩٧.
- (٢٠) البقرة: ١٢٥.
- (٢١) وسائل الشيعة ١١: ٣٢ الحديث ٣ و ٦.
- (٢٢) المصدر نفسه.
- (٢٣) حياة الإمام الحسن بن علي ١: ٣٢٧ - ٣٢٨.
- (٢٤) حياة الإمام الحسين بن علي ١: ١٣٤.
- (٢٥) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ١: ٢٢٦.
- (٢٦) المصدر ١: ٢٢٧.
- (٢٧) المصدر ١: ٢٢٨.
- (٢٨) راجع العدد الرابع من مجلة ميقات الحج، للاطلاع على تفصيل الحديث.

والآداب حتي قال سعيد بن المسيب: إنَّ القرءاء كانوا لا يخرجون إلي مكة حتي يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب. (٢٦)

وكان يهتم عليه السلام بسنن الحج بشكل كبير، ويقبل علي الله تعالي بكل إخلاص وخشية حتي إنه كان إذا أراد التلبية عند عقد الإحرام اصفر لونه واضطرب، ولم يستطع أن يلبي، فقليل له: مالك لا تلبي؟ فيجيب وقد أخذته الرعدة والفرع من الله: أخشي أن أقول: لبيك فيقال لي: لا لبيك.

وكان إذا لبى غشي عليه من كثرة خشيته من الله، وسقط من راحلته، ولاتزال تعتريه هذه الحالة حتي يقضي حجه (٢٧)

وهناك ظاهرتان مهمتان في سيرة أهل البيت عليهم السلام في حجهم:

الأولى: ظاهرة كثرة الدعاء وشدة الإقبال علي الله تعالي بالأدعية الطويلة الزاخرة بالمفاهيم التربوية والمعرفية العالية مثل دعاء الإمام الحسين عليه السلام المعروف بدعاء عرفة، ولعله أطول دعاء من نوعه، وبنظره دعاء الإمام زين العابدين في الصحيفة السجادية الخاص بيوم عرفة أيضاً.

قال بشر وبشير الأسديان: كنّا مع الحسين بن علي عليهما السلام عشية عرفة فخرج عليهما السلام من فسطاطه متذلاً خاشعاً، فجعل يمشي هونا هونا حتي وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت، ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين وقال:

الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع...

ومما قال بعد أن دعا طويلاً وكانت دموعه قد جرت علي سحنات وجهه الشريف:

اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، واسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك وخر لي في قضائك وبارك لي في قدرك، حتي لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجّلت، اللهم اجعل غناي في نفسي واليقين في قلبي والاخلاص في عملي...

يخصّ تعامل أهل بيت الوحي مع الحج في مجال العمل والتطبيق، لا يقل روعةً وعظمةً عما تضمّنته كتب الحديث من نصوصهم الكثيرة حول الحج ومعالمه وفلسفته وتأريخه، وشكله ومضمونه وترامي أبعاده وعمق عرفانه، وتجليه الجانب العبادي فيه. الحجّ في سيرة أهل البيت عليهم السلام ونصوصهم

لقد تميز الحج في سيرة أهل البيت عليهم السلام العملية، وتميزت سيرتهم في مجال الاهتمام بالحجّ حتي ورد أنّ عبّادا البصري لقي الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وضُوعبته، وأقبلت علي الحجّ ولينه إنَّ الله عزّوجلّ يقول: إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله...؟! (٢٩)

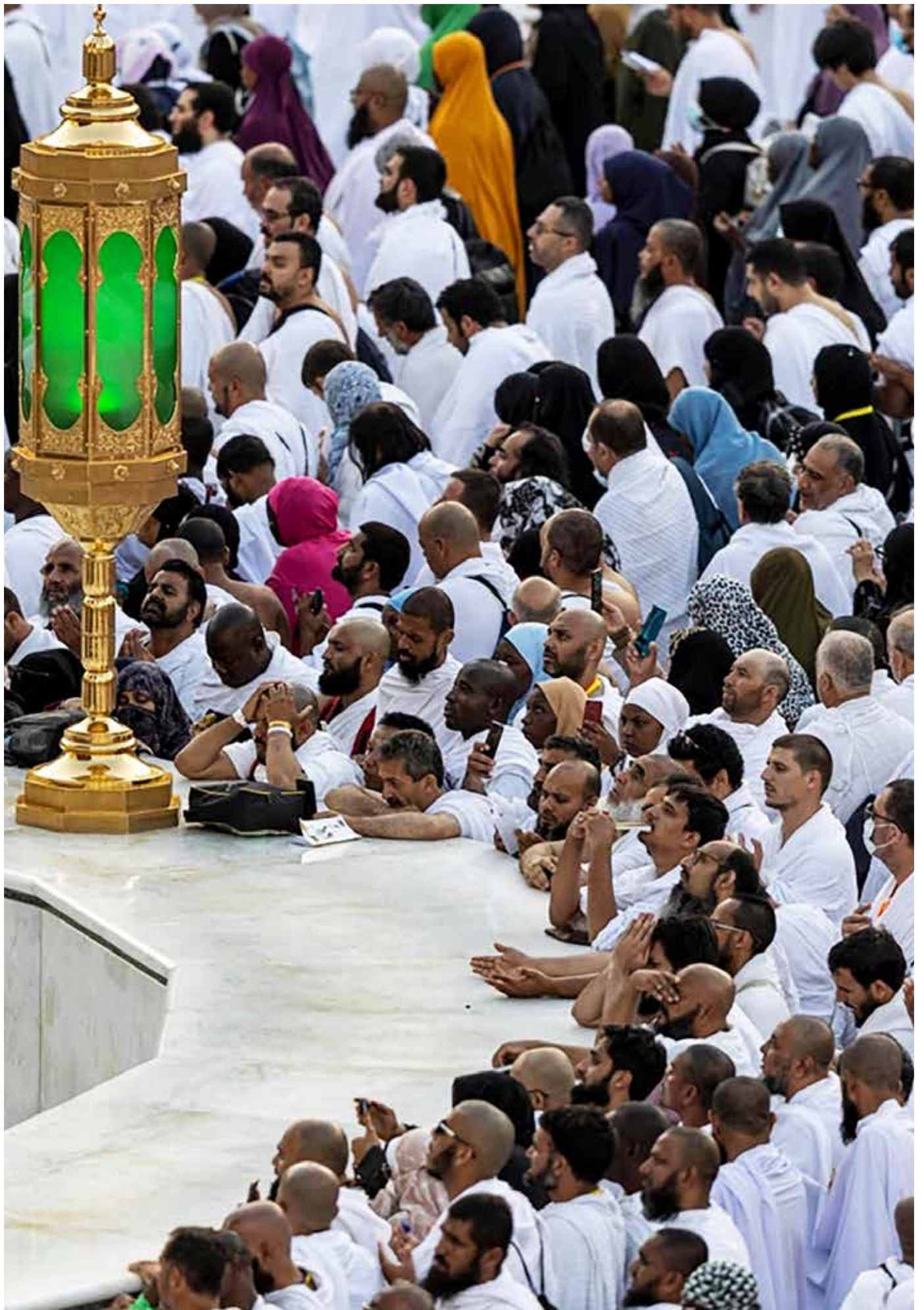
فقال علي بن الحسين عليه السلام: أتمّ الآية. فقال: التائبون العابدون... الآية. فقال علي بن الحسين عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحجج. (٢١) أو قال: إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر علي الجهاد شيئاً. (٢٢)

وقد حجّ الإمام الحسن السبط خمساً وعشرين حجةً ماشياً علي قدميه، وكانت النجائب تقاد بين يديه. وسئل عن كثرة حجه ماشياً فأجاب: إني أستحي من ربّي أن لا أمضي إلي بيته ماشياً علي قدمي. (٢٣)

ونقل مثل هذا عن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام أيضاً. (٢٤)

وأما زين العابدين (علي بن الحسين عليه السلام) فقد كان ملازماً للحج منذ صغره، وكان يحجّ ماشياً وراكباً، وكان يدعو إلى تكريم الحجّ إذا قدموا من بيت الله الحرام قائلاً: استبشروا بالحجّ إذا قدموا وصافحوهم وعظموهم، تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب. (٢٥)

وكان إذا أراد السفر إلي بيت الله الحرام احتفّ به القرءاء والعلماء، حيث إنهم كانوا يكتسبون منه العلم والعرفان والحكم



لَبَّيْكَ يَا كَرِيمُ
لَبَّيْكَ يَا كَرِيمُ
لَبَّيْكَ يَا كَرِيمُ
لَبَّيْكَ يَا كَرِيمُ

